جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

النشاط الإقتصادي في تونس خلال العهد الحسيني

"حمودة باشا أنموذجا" 1782-1814 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر
تخصص تاريخ حديث ومعاصر

إعداد :
- الياقوت سراط
-فوزية تومي

إشراف الأستاذة:
- حفيظة بوتوقوماس

لجنة المناقشة:
-سعيدة زفزاف: رئيسة اللجنة.
-حفيظة بوتوقوماس: مقرر ومشرف.
-دراجي بلخوص: مناقشا.

السنة الجامعية:1437-1438هـ /2017-2018م

بسم الله الرحمن

الرحيم

دعاء

اللهم لك الحمد حتى ترضى، و لك الحمد إن رضيت و لك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد على كل

حال وفي كل حين، اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

آمين يا رب العالمين

شكر وعرفان

إن الشكر لله رب العالمين، الذي بفضله وعونه أنجزنا

هذا العمل.

- نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة حفيظة بوتوتوماس التي

أشرفت على هذا العمل، ولم تبخل علينا بنصائحها و

توجيهاتها.

- كما نتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من ساعدنا في

إنجاز عملنا المتواضع، وإلى كل من ساهم في مساعدتنا و

نصحنا و تشجيعنا ولو بكلمة طيبة.

الإهداء الأول:

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى:

والدي العزيزين.

إلى عائلتي الكريمة.

إلى الأساتذة المشرفة

إلى الأساتذ وراجي بالخوص

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد هذا العمل.

فوزية نومي

الإهداء الثاني

أهدي ثمرة هذا العمل إلى

إلى أهلي خاصة والدي اللذين سهرا على تعليمي

إلى

كل من مد لنا يد العون والمساعدة ولو بكلمة طيبة

هذا العمل

إلى الأساتذة المشرفة التي أخذت بيدنا لانجاز هذا البحث

إلى أساتذتنا بالخروب وراجي

إلى كل أساتذتنا

إلى كافة الزملاء والأصدقاء

الياقوت سماط

قائمة المختصرات:

. تح: تحقيق.

. تر: ترجمة.

. تع: تعريب.

. تق: تقديم.

. ج: الجزء.

. ح ح: حسن حسني.

د.ب.ن:دون بلد النشر.

د.د.ن:دون دار النشر.

د.س.ن: دون بلد النشر.

. ص: الصفحة.

. ط: الطبعة.

. مج: مجلد.

المقدمة

عرفت تونس خلال العصر الحديث تغيرات جذرية بعد ضعف الدولة الحفصية، هذا ما عرضها للعديد من التحرشات الأوروبية خاصة منها الإسبانية، وقد ترتبت عن هذه الأحداث عدة مواجهات انتهت بالانضمام إلى الدولة العثمانية وبهذا أصبحت تونس إيالة تابعة لها، وبهذا عرفت تونس عودة الاستقرار و الأمن والفضل في ذلك يعود إلى حكامها من باشاوات ودايات و بايات، وفي المرحلة الأخيرة عرفت تونس تغيرا جذريا في نظام الحكم حيث أصبح محليا تحت سلطة الأسرة المرادية ومن بعدها الحسينية، هذه الأخيرة وصلت إلى سدة الحكم عام 1705م، وعرفت الإيالة خلال فترة حكم هذه الأسرة ازدهارا وتطورا سياسيا و اقتصاديا خاصة في فترة حكم **حمودة باشا**.الأمر الذي دفعنا إلى دراسة الموضوع الذي يندرج ضمن عنوان :

النشاط الاقتصادي في تونس خلال العهد الحسيني.

فترة حمودة باشا 1782م . 1814م نموذجا

كانت شخصية **حمودة باشا** محل جدال و نقاش لدى العديد من المؤرخين و المؤلفين و السبب في ذلك يعود إلى الازدهار والتطور اللذان عرفتهما الإيالة التونسية في عهده، كما أن بعض المؤرخين يعتبرون فترة حكمه العصر الذهبي للحكم الحسيني في تونس.

و قد اخترنا هذا الموضوع لبلوغ مجموعة من الأهداف وهي:

. التعرف على شخصية **حمودة باشا** والإصلاحات التي قام بها خاصة في الجانب الاقتصادي .

. إثراء المكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة بتاريخ تونس في الفترة الحديثة.

. التوجه نحو الإهتمام بدراسات جديدة.

وانطلاقا مما ذكرنا نطرح إشكاليةالتالية:

كيف ساهم النشاط الاقتصادي في تطور ايالة تونس خلال الفترة الحسينية ؟

ولحل لهذه الإشكالية يجب الإجابة على بعض التساؤلات أهمها:

. ماهي الاوضاع السياسية السائدة في البلاد التونسية قبل عهد حمودة باشا؟

. بما تميزت الاوضاع الاقتصادية خلال الفترة الحسينية ؟

. كيف كان الوضع السياسي خلال فترة حكم **حمودة باشا** ؟

. كيف قام **حمودة باشا** بتطوير الجانب الاقتصادي ؟

أما اختيارنا لهذا الموضوع يعود إلى عدة أسباب هي:

. ذلك التطور و الازدهار اللذان عرفتهما الإيالة خلال فترة **حمودة باشا** حيث أنه دفع بتونس إلى مصف الدول الكبرى.

. معرفة تأثير النشاط الاقتصادي على الحياة السياسية خلال الفترة المدروسة .

. كيف كانت نظرة المؤرخين حول سياسة **حمودة باشا** خاصة السياسة الاقتصادية .

. الاهتمام بهذه المواضيع نظرا لنقص الدراسات حولها.

وللإجابة عن هذه التساؤلات، كان علينا تقسيم عملنا إلى مدخل وثلاث مباحث.

. المدخل:

تحدثنا فيه عن الأوضاع السائدة في تونس قبل مجيء العثمانيين،و كيف تعرضت للعديد من التحرشات الأوروبية خاصة منها الإسبانية ومن ثمة تناولنا مراحل حكم العثمانيين بداية بالباشاوات والدايات والبايات المراديون والحسينيون، وختمنا هذا المدخل بالحديث عن الأوضاع الاقتصادية التي سبقت فترة **حمودة باشا**.

المبحث الأول:

الذي يندرج تحت عنوان **الأوضاع العامة في عهد حمودة باشا**، وفيه تحدثنا عن نشأته والإصلاحات السياسية في فترة حكمه، إضافة إلى هذا تطرقنا إلى العلاقات السياسية التي جمعته مع معظم الدول المجاورة و الأوروبية مثل:الجزائر و فرنسا.... و غيرها .

المبحث الثاني

خصصناه للحديث عن الحياة الاقتصادية، فتناولنا في البداية المناخ السائد في تونس كما تطرقنا إلى ملكية الأراضي بعدها تحدثنا عن الزراعة والصناعة واهم الإصلاحات التي قام بها **حمودة باشا** في هاذين المجالين، لنختم هذا المبحث بالحديث عن التجارة الداخلية و الخارجية و دور **اليهود** في هذا المجال.

المبحث الثالث:

وضعناه تحت عنوان **العلاقات التجارية لايالة تونس في فترة حمودة باشا** ،تحدثنا عن العلاقات التجارية التي جمعت إيالة تونس مع الجزائر و طرابلس الغرب ودول أخرى مثل مصر،كما تطرقنا

في هذا الفصل إلى أهم الطرق البرية التي كانت تمر عبرها القوافل التجارية و أهم المبادلات التجارية التي كانت تتم بين ايالة تونس و الدول الأخرى.

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، حيث قمنا بوصف الأوضاع العامة والاقتصادية خلال الفترة المدروسة ثم قمنا بتحليل هذه الأوضاع .

وفي هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

عرض بعض المصادر و المراجع :

1. المصادر العربية:

اعتمدنا قي هذه الدراسة على مجموعة من المصادر العربية التي تناولت هذا الموضوع بإسهاب ومن بين هذه المصادر نذكر:

. **ابن ابي الضياف احمد:إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان ،الدار التونسية ،تونس ،1963،ج8:** هذا الكتاب من أهم المراجع المعتمدة خلال الفترة الحسينية ،ويعد مصدرا هاما و رئيسيا لمذكرتنا ، يتكون هذا المصدر من 08 أجزاء كلها تتناول مرحلة من المراحل التي مرت بها تونس .

اعتمدنا في دراستنا على الجزء الثاني و الثالث ،هذا الجزء اعتمدنا عليه في دراسة الأوضاع السياسية والإدارية في فترة حمودة باشا ،لأنه تناول هذه الشخصية بإسهاب .

. **محمود بن سعيد مقديش الصفاقسي ،نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،ط1،تحقيق علي الزاوي،محمد محفوظ،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان،مج2.**

1988م: كان عالما مشهورا في تونس،يشمل كتابه فترة تاريخية تبدأ بصدر الإسلام ،وتنتهي قي سنة 1833م ، وركز هذا الكتاب على الفترة الحسينية خاصة فترة حمودة باشا حيث تحدث عن الأوضاع و الإصلاحات السياسية التي قام بها حمودة باشا .

. **محمد بيرم الخامس،صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار،ط2،تحقيق علي بن الظاهر الشنوفي ورياض المرزوقي وعبد الحفيظ منصور،المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون ،بين الحكمة ،تونس ،1999** : هو مصدر قيم حول القطر التونسي في الفترة الحسينية ،قام الكاتب بوصف الإيالة واعتمدنا على هذا المصدر خاصة في المبحث الثاني لأنه تطرق إلى جغرافية الإيالة واهم المحاصيل الزراعية والصناعات المنتشرة،وغيرها من المعلومات التي أفادتنا.

. **محمد مخلوف،شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية،ج2،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،1350هـ:** يحتوي هذا المصدر على رجال الطبقات الذين كانوا في تونس،إضافة إلى هذا تحدث عن جغرافية البلاد التونسية والمناخ السائد فيها .

كما اعتمدنا على مصادر أخرى كانت كلها تخدم موضوعنا لأنها تناولت سياسة حمودة باشا بإسهاب.

2. عرض المصادر الأجنبية :

اعتمدنا في دراسة هذه على مصدرين أجنبيين و هما:

-**Frank, louis** : Histoire de Tunis Précédée d'une description de cette régence, Didot fréres, Imprimer RSDE l'institut de France, Paris, 1851.

أقام هذا الطبيب في تونس منذ سنة 1806م ،عين رئيسا للأطباء في فترة حكم حمودة باشا كما كان طبيبه الخاص ،يعتبر كتابه من أهم الكتب التي تحدثت عن فترة البايات خاصة فترة حمودة باشا لأنه كان يقيم في قصره .

-**HUGON, HENRI** : Les Emblèmes des Beys de Tunis, Emets Leroux, paris, 1913.

يحتوي هذا الكتاب على معلومات هامة وقيمة حول العملة التي كانت متداولة في الإيالة التونسية،كما قدم لنا بعض النماذج والصور لبعض العملات.

إضافة إلى هذه المصادر اعتمدنا على مجموعة من المراجع التي أفادتنا في هذه الدراسة.

عرض بعض المراجع:

. **رشاد الإمام ،سياسة حمودة باشا في تونس،كلية العلوم الإنسانية،السلسلة الرابعة تاريخ،منشورات الجامعة التونسية،1980.** يعتبر هذا المرجع من أهم المراجع التي اعتمدنا عليها بكثرة في دراستنا هذه ،لأنه يتحدث عن سياسة حمودة باشا بمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية و الاجتماعية .

. **عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة ، ط1، ترجمة وتقديم سامي الجندي ، ذار القدس، بيروت، لبنان، 1975م:** هذا الكتاب يتحدث عن تاريخ تونس المعاصر، إلا أننا اعتمدنا عليه في تحديد ملكية الأراضي، لأنه تطرق لهذا الموضوع بالتفصيل.

. **محمد الهادي الشريف،تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال،ط3 تعريب :محمد الشاوش و محمد عجينة، دار سراس للنشر والتوزيع،تونس،1993.**

. **محمد العربي الزبيري،التجارة الخارجية للشرق الجزائري،الوكالة الوطنية للنشر والتوزيع، سلسلة الدراسات الكبرى ،الجزائر.**اعتمدنا على هذا الكتاب في العلاقات التونسية التجارية مع الجزائر،يتحدث عن أهم المبادلات التجارية والأسواق الخارجية التي كانت تتم فيها هذه المبادلات.

إلى جانب هذه المراجع ، اعتمدنا في هذه الدراسة على مراجع أخرى ، تمثلت في رسائل لنيل شهادة الماجستير و الدكتوراه مثل:**أطروحة الدكتوراه للدكتور ارزقي اشويتام** بعنوان:**المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني 1519م .1830م.**

كما واجهتنا عدة صعوبات في هذه المذكرة تمثلت فيما يلي:

. قلة المراجع المتخصصة في هذا الموضوع .

. ضيق الوقت ،لان هذا الموضوع يتطلب وقت طويل للإلمام بجميع جوانبه .

خطة البحث:

مقدمة

مدخل

المبحث الأول:الأوضاع العامة في عهد حمودة باشا

المطلب الأول: حمودة باشا ومجيئه إلى الحكم

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية في عهد حمودة باشا

المطلب الثالث: الأوضاع العسكرية في عهد حمودة باشا

المطلب الرابع: الأوضاع الاجتماعية في عهد حمودة باشا

المبحث الثاني:الأوضاع الاقتصادية في تونس خلال عهد حمودة باشا

المطلب الأول: النشاط الزراعي

المطلب الثاني:النشاط الصناعي

المطلب الثالث: النشاط التجاري

المبحث الثالث: العلاقات التجارية لتونس خلال عهد حمودة باشا

المطلب الأول: العلاقات التجارية بين تونس ودول الجوار

المطلب الثاني: العلاقات التجارية بين تونس ودول أخرى

المطلب الثالث: العلاقات التجارية بين تونس والدول الأوروبية

الخاتمة.

إلى جانب هذه المراجع ، اعتمدنا في هذه الدراسة على مراجع أخرى، تمثلت في رسائل لنيل شهادة الماجستير و الدكتوراه ساعدتنا في توضيح بعض الأمور في الجانب الاقتصادي.

كما واجهتنا عدة صعوبات في هذه المذكرة تمثلت فيما يلي:

. قلة المراجع المتخصصة في هذا الموضوع .

. ضيق الوقت، لأن هذا الموضوع يتطلب وقت طويل للإلمام بجميع جوانبه.

المدخل

خلال القرن 16 شهدت تونس اضطرابات داخلية وخارجية تمثلت الداخلية في ضعف الدولة الحفصية وكثرة الصراعات مثل ما حدث بين السلطان الحفصي أبي العباس الثاني[1] ووزيره أبي الطيب الخضار الذي اتصل بوالي الجزائر وحرضه على احتلالها[2].

كما عرفت اضطرابات خارجية تمثلت في التكالب الصليبي على البلاد التونسية، هذا التكالب مثلته اسبانيا التي تحصلت على امتيازات في تونس، من بين هذه الامتيازات تنازل الحفصيين لها على بعض المدن كعنابه، بنزرت، وحلق الوادي [3].

استمرت هذه الاضطرابات إلى غاية سنة 1573م بعد أمر من السلطان العثماني سليم الثاني للوزير الأعظم سنان باشا، الذي خرج على رأس قوة عثمانية من اسطنبول متجها إلى تونس لتحريرها من بطش الصليبين وإنهاء الخلافات الداخلية [4].

إضافة إلى خروج قوة بحرية بقيادة العلج علي من الجزائر، وذلك بأمر من السلطان العثماني أيضا[5]. فقامت هذه القوات بمحاصرة تونس برا وبحرا، كما تمكن سنان باشا من تضييق الخناق على الحامية الاسبانية حتى رضخت للجيش العثماني، وألقى القبض على الأمير الحفصي محمد الحسين وأرسله إلى اسطنبول وبذلك انتهى الحكم الحفصي [6]، منذ ذلك الوقت دخلت تونس تحت راية الدولة العثمانية[7].

---

1 أبي العباس الثاني:هو الابن الأكبر للسلطان الحسين الحفصي، افتك الحكم من والده عام 1543 وكانت تونس آنذاك تحت الحماية الاسبانية، واستمر على العرش الحفصي إلى عام 1573-انظر:محمد الحبيب الهيلة، المفتي أبو القاسم عضوم في عصره، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2010، ص 25.

2شوقي عطا الله الجمل:المغرب العربي في العصر الحديث، ط 1، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1977، ص 107.

3 نفسه.

4 نفسه.

5 محمد الهادي الشريف:تاريخ تونس، ط 3، دار سراس للنشر، تونس،1993، ص 70.

6 شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 108.

7 محمد الهادي شريف: المرجع السابق، ص 70.

وبذلك ترك سنان باشا الجيش الذي قدم به و المتكون من 4000 مقاتل وجعل على كل 10منهم أمير يسمى الداي[1] ولاستخلاص الجباية شخصا يسمى الباي و جعل على العسكر قاضيا اسمه حسن أفندي، وجعل نظر العسكر للأغا [2]، بالديوان والفصل في القضايا للقاضي، وعلى كل هؤلاء الباشا [3].

وأسندت شؤون البحرية إلى قبودان رايس،كما أصبحت خطبة الجمعة تقام باسم السلطان العثماني وسكت العملة باسمه، واستمر هذا الوضع إلى غاية 1590م أين ثار صغار الجند على رؤسائهم أعضاء الديوان، في واقعة اشتهرت بواقعة البلكباشية [4] .

التي كانت سببا في انعقاد مجلس ضم الباشا والباي و40 دايا، وانتخبوا من بينهم احد الدايات لتولي الإمارة هو عثمان داي ومن هنا بدا العهد الفعلي للدايات إلى غاية منتصف القرن 17 [5] .

1الداي: هو كلمة تركية تعني الخال أو الرئيس، وهو لقب كان يلقب به حكام الجزائر وتونس وذلك إكبارا لمكانة الخال في الأسرة ويرد في بعض الوثائق بالدولتلي ويعني صاحب السلطة والقائم على أمور الدولة.-انظر: أمير يوسف: أوقاف الديات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية 1671-1830،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف فلة موساوي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2009-2010.

2 الأغا: كلمة فارسية تعني السيد وبالتركية الأخ الأكبر ويطلق هذا اللفظ للدلالة على بعض الرتب العسكرية والمدنية - انظر:رشاد الإمام: سياسة حمودة باشا 1782-1814، منشورات الجامعة التونسية 1889، ص 55.

3 احمد بن أبي الضياف:إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمانج2، تح، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس 1963، ص27.

4 البلكباشية: البلكباشي هو المسؤول الأول عن الجيش في الأوجاق ورتبته تعادل نقيب ، يعمل تحت إمرته حوالي 300 انكشاري ، وفي أواخر العهد العثماني اصبحو يشكلون جهازا مستقلا عن الأوجاق ويتولون بالتناوب قيادة النوبة بلقب أغا أو العمل تحت إمرة الأغا بلقب كاهية ،وقد احتلت هذه الفئة المرتبة الأولى في أوقاف الجيش على الحرمين الشريفين حيث حضرت ب 59 وقفية وهو مايعادل عاملين أولهما يتمثل في ثراء الفئة التي مارست إلى جانب مهامها العسكرية عدة مهام اجتماعية واقتصادية منها النظر على أوقاف سبل الخيرات ،فقد تولاها عمر خوجة بلكباشي بن مصطفى التركي عام 1756م وخليل بلكباشي عام 1781م كما تولوا أمانة بعض الحرف، ومع نهاية النصف الأول من القرن 18 اسند إليهم النظر على مؤسسة بيت المال، حيث تولاها احمد بلكباشي بن والي التركي مابين 1754،1744، وكان هذا المنصب يدر أموالا طائلة على أصحابه حسب دفاتر المخلفات ،كما كانت هذه الفئة كبيرة العدد –انظر :فهيمه عميوري :إسهام الجيش الانكشاري في أوقاف الحرمين الشريفين خلال القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 41، جامعة قسنطينة 2014، ص64، 65.

5 محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص 70.

عهد الدايات:

كانت ثورة البلكباشية تمهيدا لبداية حكم جديد في تونس وهو عهد الدايات .

أن وصول الدايات إلى الحكم كان نتيجة لاستغلال الأوضاع السياسية المتأزمة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية والغضب الذي ميز الوضع الداخلي في تونس حول احتكار عضوية الديوان من طرف رؤساء المليشيات التركية فقاموا بقتلهم وعوضوهم بضباط صغار هم الدايات [1] .

فصار كافة الجند ممثلين تمثيلا مباشرا، لكن هذا النظام الديمقراطي شكل فوضى في البلاد الأمر الذي حتم على الدايات اختيار من يمثلهم، فكان الاختيار على عثمان داي، هذا الأخير بمجرد انتخابه بدا في تصفية منافسيه إلى أن بسط نفوذه على جميع المجالات وذلك سنة 1598م[2].

كما فرض الدايات أنفسهم على غير المنضبطين من العساكر رغم أن الدايات كان يختارهم العسكر وبذلك أعادوا الانضباط لصفوف الجيش الذي كان مصدر قوتهم وبدأ الدايات بالتوسع في المناطق الآمنة حول المدن وكسب ود الرعية في تلك المناطق من موالين ورجال الدين [3] .

بعد مرض عثمان ووفاته تولى السلطة يوسف داي 1610- 1637م الذي اشتهر بالعدل والخير، وله أثار جميلة كجامعه في سوق الترك المعروف باسمه والمدرسة اليوسفية بسوق البشماقجية [4].

وتولى السلطة بعده أسطا مراد[5]1637م- 1640م، ثم احمد خوجة داي [6]1640-1647 ولم بقع الحسم الحسم في عملية انتقال السلطة، الأمر الذي عجل من ظهور سلطة موازية للداي، تستند إلى جهاز ردعي جبائي ناجع ورصيد بشري محلي في تزايد كبير ألا وهي سلطة البايات المراديين [7].

1محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص 70..

2نفسه:ص71.

3 نفسه، ص 72.

4 احمد بن أبي الضياف: المصدر السابق ج2، ص 32.

3 أسطا مراد: هو داي من الموالي كانت بيده رئاسة البحر، سعى إلى الولاية، بنا بلد غار الملح وقلعتها التي على المرسى ورغب في سكنها ،كان حازما، اعتنى بأحوال المعاش في الحاضرة ، اعتنى بأهل الذمة، توفي سنة 1640م –انظر: نفسه، ص37-38.

6 احمد خوجة :كان كاتبا للديوان، وكان حسن الخلق، ولما استولى على السلطة أصبح يتميز بالجفاء والغلظة، من أثاره بناء البرج الصغير بحلق الوادي وأعاد بعث المدرسة الشماعية، توفي سنة 1647م –انظر: نفسه ، ص 38-39.

7 دلنده الأرقش: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، تونس 2003، ص 58.

الأسرة المرادية:

سيطر في هذه الفترة على الحكم البايات، وقد اقترن ظهور الباي بمهمة قيادة المحلة وجباية الأموال وكان قائد رمضان أول باي عينه الدايات سنة 1599م-1613م .

لكن حكم البايات ظهر فعليا مع مراد كورسو الذي عينه يوسف داي على منصب الباي بعد وفاة سيده القائد رمضان [1].

1-مراد كورسو:

تحمل مراد أعباء السلطة على أحسن وجه وخاصة مع القبائل المتمردة كقبائل جبل وسلات وعمدون وأولاد سعيد [2] وغيرها، وازداد نفوذه بالبلاد بحصوله سنة 1631م على لقب الباشا من الباب العالي فأصبح يمثل السلطة الموازية للداي، هذا الأخير كانت سلطته تنحصر في تونس وخافت القبائل من بطشه فأذعنت للجباية والطاعة [3].

من أهم ما قام به هذا الباي تامين الطرقات، وتوفي سنة 1631م.

2-الباي حمودة باشا:

قام بتتمة ما تركه والده، فخرج إلى الحامة وكان مشيختها قد نبذوا الطاعة، فحشد إليهم الجنود وقتلهم وأنقذ البلاد من أيديهم، ثم نزل جبل مطماطة وضيق عليهم حتى انقادوا للطاعة، وأوقع بالشيخ خالد بن النصر شيخ الحنانشة على وادي سراط، ونهب منهم المال ورتب اوجاق الصبايحية [4] [4] بتونس والقيروان والكاف وباجة لحفظ الطاعة وتامين السبل .

طلب الباي حمودة منصب الباشا سنة 1657م وكان له ذلك سنة 1658م، من أهم ما قام به بناء جامع يعرف باسمه، أو قف أوقافا نافعة، توفي سنة 1666[5].

1دلنده الأرقش: المرجع السابق، ص 35.

2 أولاد سعيد: قبيلة من الأعراب الزاحفين على إفريقيا في أواسط القرن الخامس، ويقطن اليوم بعض منهم بجهة النفيضة من عمل سوسة، -انظر:حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية تونس 1373هـ، ص 139.

3 دلنده الارقش: المرجع السابق، ص 35.

4 الصبايحية :هم فيلق من الفرسان بمثابة الجندرمة –انظر:محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 78.

5احمد بن أبي الضياف: المصدر السابق ، ص 36.

3-مراد باي الثاني:1666م-1675م

تقلد السلطة بعد أبيه، قام بمحاربة أعدائه، بنا المدرسة المرادية الواقعة بسوق القماش وقنطرة وادي مجردة وجامع قابس والمسجد الحنفي بباجة، توفي سنة 1675م وترك أبناء تنازعوا فيما بعد على السلطة وزعزعوا العرش المرادي [1].

4-محمد بن مراد باي: 1675م

لما توفي والده مراد الثاني اتفق أهل الحل والعقد على تعيينه خلفا لأبيه، مما أثار الغيرة والحسد لدى عمه محمد الحفصي، وبدا بتحريض أخيه على المطالبة في المشاركة في الأمر، وبعد مدة عقد ديوان الجند الذي كان قراره خلع وتقديم محمد الحفصي سنة 1082هـ.

5-محمد الحفصي:

لم يدم طويلا في الحكم لأنه لم يكن قادرا على المواجهة فجمع الديوان وتنازل عن السلطة لأبن أخيه محمد وركب البحر متجها إلى الأستانة.

وبمجرد مغادرة محمد الحفصي تونس ظهر الصراع بين أبناء مراد الثاني، حيث قام محمد باي بسجن أخيه علي، لكنه فر إلى قسنطينة وتزوج من ابنة السلطان بن نصر شيخ الحنانشة[2] واستعان بصهره لتولي السلطة ولما بلغ الأمر إلى محمد باي، قام لمواجهة أخيه فحاصر جبل وسلات وانهزم محمد باي وفر إلى مدينة الكاف .

6-علي باي:

بعدما استقر له الوضع خرج لجباية الأموال، لكن أخاه في ذلك الوقت كان قد استولى على بلاد الجريد فأسرع لمحاربته، وقد عانت البلاد من صراع الأخوين في تلك الفترة حتى حاولت طائفة من العلماء والفضلاء إصلاح ذات البين لكنهم لم ينجحوا في ذلك وبقي الأمر على حاله حتى قدم عمهما محمد الحفصي متقلدا منصب الباشا من الباب العالي وانتهز فرصة الصراع بين أبناء أخيه للاستيلاء على العاصمة .

---

1 احمد بن أبي الضياف: المصدر السابق ، ص 36.

2 الحنانشة : قبيلة عربية كبيرة متوطنة بعمالة قسنطينة ومركزها مدينة تبسه –انظر: محمد الهادي الشريف، المرجع السابق ، ص 142.

في هذه المرحلة ظهر تدخل الجزائر بعد لجوء محمد باي إليهم، فقام هذا الأخير بمحاربة أخيه بإعانة من الجزائر فهزمه .

وفي نفس الوقت كان الداي احمد شلبي استولى على الحاضرة لكن دولته لم تدم طويلا حيث كانت هزيمته على يد الجزائريين [1].

ثم قسم الأخوين البلاد فكان لمحمد باجة وما يليها والقيروان، ولعلي سوسة وسلات والساحل والكاف وما يليها، لكن النزاع عاد إلى مسرح الأحداث وذلك لرفض الرعية علي باي والمطالبة بمحمد باي فقط، وبينما هم على أهبة الاستعداد للمواجهة حتى دخل على علي من ظنهم قادمون إليه بالبشارة فكانت نهايته على أيديهم ونهبت محلته وفي نفس السنة توفي محمد الحفصي .

في هذا الوقت بدأ محمد باي بإصلاح البلاد فقام ببناء قصر باردو، وبنا في القيروان مسجدا ومدرسة [2].

لكن محمد باي لا يسلم من المنافسين فقد ظهر منافس أخر له وهو محمد بن شكر، فقام بالتجهز بعسكر الجزائر واتجه إلى تونس، لكن اكتشف أمره وقدم إلى محمد باي فعامله بالحلم والإكرام وأعطاه المال وبعث به إلى اسطنبول، فصار من كبار رياس البحر، وغنم غنائم كثيرة في عهد السلطان سليمان خان ابن إبراهيم خان [3].

لكن محمد بن شكر عاد مرة أخرى و استعان بالجزائريين وقاتل الباي محمد لكن هذا الأخير هزم بن شكر وعاد وخيموا بالملامسين[4]، وبدأت الغارات على العاصمة، وبدا محمد باي بالعمل على جمع الجيش لمقاتلة ابن شكر وكانت الغلبة لمحمد باي سنة 1102هـ، ففر ابن شكر إلى مدينة قابس ومات بها، وعاد محمد باي إلى الحاضرة وبقي بها أن توفي سنة 1108هـ ودفن بها، وتولى الأمر من بعده أخاه رمضان [5].

---

1 محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص 142، 143.

1 محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ط1، المجلد الثاني، تحقيق علي الزواري، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص 133،134.

3 نفسه: ص 135.

4 الملاسين: دشرة صغيرة بباب مدينة تونس من غربها –انظر:حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 144.

5 نفسه.

7-رمضان باي:

يصنف هذا الباي من اضعف البايات المراديين، حيث كان ميالا للهو والخمول وقد سلم زمام الأمور إلى بعض مغنيه، وكانت أمه مسيحية وماتت على دينها فبنا لها كنيسة في باب قرطاجنة وهي أول معهد للنصرانية بالحاضرة وبعد عامين من توليه المنصب ثار عليه ابن أخيه مراد بن علي وقتله سنة 1110هـ وتولى المنصب [1].

- مراد بوبالة:

كان هذا الباي سفاحا مجاهرا بالفواحش كان يقتل كل من يشك فيه وكان له سيف يسمى البالة[2] وكان إذا لم يقتل يقول "إن البالة قد جاعت " ، ولذلك عرف بمراد بوبالة، حارب الجزائريين لكنه هزم مما جعله يقصد القيروان ويخربها.

قتل على يد إبراهيم الشريف بتواطىء مع كبار الجند وقيل بإذن من الباب العالي سنة 1114هـ/ 1702م ، بمقتله انتهى حكم المراديين [3].

- فترة حكم إبراهيم الشريف:

بويع إبراهيم الشريف [4]، من قبل الجند بعد الإطاحة بمراد بوبالة، ولما تولى هو شؤون الولاية منح منصب الداي لقارة مصطفى ثم عزله وتولى هو الوظيفة فأصبح إبراهيم الشريف باي داي، ثم أتاه لقب الباشا من الباب العالي واتخذ حسين بن علي كاهية [5] لإعماله، واكتفى به في حروبه وسياسة أموره [6].

قام إبراهيم الشريف باستمالة الرعية وكذا الجند، لكن الظروف التي كانت تعيشها البلاد من غلاء الأسعار والأوبئة وتقلص المداخل جعلته ينقلب ضدهم وظهر كقائد عسكري مستبد [7].

1حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 145.

2البالة: لفظ تركي لنوع من السيوف حادة الشفرتين – انظر: نفسه، ص 145.

3 نفسه: ص 146.

4 إبراهيم الشريف: هذا الرجل من جند الأتراك الموجود بالجزائر، قدم إلى تونس مع الثائر محمد بن شكر، ثم انخرط في خدمة محمد باي حتى ترقى إلى منصب أغا. –انظر: نفسه، ص146.

5 كاهية: هو منصب اقل من الأغا ويعمل تحت إمرة الأغا . – انظر: ح ح عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 64.

6 نفسه: ص 146.

7 دلندة الأرقش: المرجع السابق، ص 61.

وفي سنة1704م دخل إبراهيم الشريف في حرب مع طرابلس ومع الجزائر سنة 1705م[1]، فكاد يحرز الانتصار على طرابلس لولا الطاعون الذي انتشر في تونس وفتك بأهلها، فاضطر إلى العودة، أما مع الجزائر فانهزم واسر مع أخيه سنة 1504[2]، هذه الهزيمة التي تكبدها التونسيون جعلت أعيانهم يقررون انتخاب أمير يقلدونه أمرهم، وكان الاتفاق على الكاهية حسين بن علي[3]، حيث كانت بيعته سنة 1504م، ومنذ ذلك الوقت انتقلت الولاية إلى البيت الحسيني [4].

- الأسرة الحسينية 1705 م:

أسس هذا البيت:

حسين بن علي التركي: الذي عين بايا على تونس لتخليص البلاد من العساكر الجزائريين، وبالفعل حقق ذلك بعد مواجهة الجيش الجزائري وإجباره على الانسحاب في1705 م، وقد استغل الباي هذا الانتصار لتعزيز نفوذه وأصبح الداي خاضعا للباي وانحصرت صلاحياته.

وقد تمثلت سياسته في التحالف مع الأعيان في الريف والمدينة ودمجهم في أجهزة الدولة، وأعاد الاعتبار للمذهب المالكي، كما تقرب من الزوايا والأولياء، وعمل على إرساء النظام المخزني في الأرياف، وفرض اللزم على السكان، هذا ما أدى بهم إلى تأييد أول تمرد على حسين بن علي والانشقاق عنه، هذا التمرد الذي كان سبب الخلاف حول السلطة اثر عزل حسين بن علي لابن أخيه علي وتنصيب ابنه محمد بايا وتحويل منصب الباشا له، فتوترت العلاقات بينهم، وأعلن علي باشا التمرد لكنه فشل وفر إلى الجزائر، وعاد سنة 1735م بإعانة من أتراك الجزائر واستحوذ على السلطة وفر إلى القيروان وأصبحت البلاد تعيش انقساما تاما إلى غاية 1740م، تاريخ مقتل حسين بن علي على يد يونس بن علي باشا، وبموت حسين بن علي أصبحت الغلبة لابن أخيه علي في حين فرت عائلته إلى الجزائر، وبقي علي باشا في الحكم إلى غاية 1750م [5]، هذا الأخير شهدت فترة

1دلندة الأرقش: المرجع السابق،ص62.

2 حسن حسني عبد الوهاب:المرجع السابق، ص147.

3 حسين بن علي: نشا في خدمة الأمراء المراديين تقلد عدة مناصب من بينها، خزندار وكاهية، وأغا الصبايحية إلى أن أصبح وليا على تونس .– انظر:الباجي المسعودي: الخلاصة النقية في أمراء افريقية، ط1، تحقيق محمد زينهم محمد غرب، دار الأفاق العربية ، القاهرة، 2013م، ص 241.

4 ح ح عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 148.

5 دلنده الأرقش: المرجع السابق ،ص 63-64.

فترة حكمه عدة ثورات منها ثورة الجند الاتراك 1743-1752م وانتفاضة ابنه يونس 1752، كما سعى إلى بناء اقتصاد الايالة، وذلك ببناء سفن جديدة لزيادة نشاط القرصنة، كما انه عقد مجموعة من المعاهدات مع فرنسا في سنوات 1710-1720-1728 م، ومع الهولنديين سنة 1712م، واتفاقيات صلح مع الدول الأوربية الأخرى للحد من نشاط القرصنة، لكن هذا النشاط البحري عاد بمبالغ ضخمة على خزينة البلاد[1].

كما تميزت سياسته الخارجية بالحزم، مما سمح له باسترجاع المركز التجاري الجنوي بطبرقة والمعد لصيد المرجان والمركز الفرنسي(cap negro) سنة 1741م للسيطرة على تجارة المرجان [2].

كانت علاقته بالجزائر متوترة بسبب رغبة والي الجزائر إعادة أبناء الحسين بن علي إلى الحكم وكان لهم ذلك بعد مقتل علي باشا سنة 1756م، وتقلد الحكم زائر متوترة بسبب رغبة والي الجزائر إعادة أبناء الحسين محمد باي بن الحسين باي[3].

- ولاية محمد باي بن الحسين باي:

تميزت فترة حكمه بالهدوء في جميع المجالات وحتى في علاقات تونس الخارجية، توفي سنة 1172هـ.

- ولاية علي باي بن الحسين باي:

بعد وفاة محمد باي كانت البيعة لعلي بن الحسين [4] باتفاق مع أهل العقد والحل كان يتميز بالذكاء المفرط والتوتر، ومن مآثره بناء المأوي للفقراء والمساكين، وجلب المياه إلى المناطق الزراعية، وحفر الآبار كبئر علجية وبئر سيدي عبد السلام [5].

---

1 عبد العزيز ألتر: الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية، ط1، ترجمة:محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص334.

2 نفسه: ص 64.

3 ح ح عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 15

4 علي باي: هو أخ محمد الرشيد باي وابن حسين بن علي. – انظر:ح ح عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 153.

5 الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص 257.

نجح علي باي في إعادة الأمن والاستقرار للبلاد، كما أقام علاقات مع الدول الأوربية عامة وفرنسا خاصة، إما علاقته بالجزائر كانت غير مستقرة، هذا ما دفعه إلى تعيين ابنه حمودة باشا باي خليفة له تحسبا لأي تدخل من دايات الجزائر[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الأوضاع السياسية لتونس خلال العهد العثماني قد أثرت بشكل كبير على الأوضاع الاقتصادية فنجدها تتميز بالازدهار والتطور في فترات السلم والأمن، وتتراجع في فترات الاضطرابات، كما كان للهجرات الأندلسية اثر في الاقتصاد التونسي حيث كان لهم الفضل في تخطي تونس مرحلة الضعف التي عرفتها البلاد نهاية الحكم الحفصي، وعموما تميز الاقتصاد التونسي خلال العهد العثماني بالاستقرار رغم الحروب التي ميزت بعض الفترات [2].

ففئة الأندلسيين بعد قدومها إلى تونس وإحسان الداي عثمان إليهم قاموا بإنشاء المزارع والبساتين وشرعوا في زراعة محاصيل جديدة على البلاد التونسية قدموا بها من الأندلس كالطماطم والبطاطا وبعض أنواع الفلفل والتوابل[3].

كما جلب الأندلسيون تقنيات جديدة إلى تونس في مجال سقي المحاصيل، والاستغلال الجيد للمياه كإنشاء السدود والخزانات المائية واليات صرف المياه لسقي الأراضي [4].

إضافة إلى هذا عمل الأندلسيون على تطوير زراعة الزيتون خاصة في مدينة طبرقة [5]، وزراعة قصب السكر الذي أصبحت تونس تنافس به الدول الأوربية من حيث الإنتاج، وكان لاستعمال الطواحن الهوائية مردود ايجابي على الإنتاج فضلا عن اهتمامهم بزراعة الأشجار المثمرة وتربية المواشي وتحديد الغابات [6].

---

1 دلنده الأرقش :المرجع السابق، ص 65.

2 أبو عبد الله القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1982، ص 193.

3 كوثر العايب : العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف محمد السعيد عقيب، السنة الجامعية 2013-2014، جامعة الوادي، ص 23.

4 نفسه.

5 طبرقة: مدينة تقع شمال غرب تونس تتميز ببحرها الغني بالمرجان. – انظر:ح ح عبد الوهاب المرجع السابق، ص 153.

6كوثر العايب: المرجع السابق، ص 24.

إضافة إلى هذا كان لهم الفضل في تطوير صناعة الشاشية [1]، حيث أصبحت هذه الصناعة تدر على البلاد التونسية ثروة كبيرة[2]، وقد خصصت لهذه الصناعة سوق في تونس العاصمة عرفت بسوق الشواشين، فأصبحت تونس في نهاية القرن 17م من أهم الايالات العثمانية تصديرا للشاشية أو الطربوش[3].

كما عرف النشاط البحري تقدما ملحوظا خاصة في عهد يوسف داي، ففي هذه الفترة برز نشاط رياس البحر خاصة في فترة حكم أسطا مراد ففي احد المرات جلب إلى تونس 12000 أسيرا وقرابة 90 مركبا من مختلف الأحجام، وبلغت البحرية التونسية تطورا كبيرا مما دفع بالدول الأوربية إلى تعيين قناصل لها بتونس [4].

عرفت تونس في بداية الفترة الحسينية نشاطا اقتصاديا كبيرا خاصة على مستوى تصدير زيت الزيتون والقمح والصوف والجلد والشمع والتمر، حيث أبدى الباي حسين بن علي رغبته في إقامة علاقات اقتصادية مع الدول الأوربية، خاصة فرنسا لكن استمرار نشاط القرصنة حال دون تحقيق ذلك.

إضافة إلى نقض الاتفاقية المبرمة مع الشركة الفرنسية لصيد المرجان في جزيرة طبرقة، حيث خسرت تونس جراء هذا النشاط سنة 1710م، ما يقارب 10 ألاف قرش عثماني[5].

هذا على المستوى الخارجي، أما على المستوى الداخلي فيظهر مجهوده من خلال الأسواق التي انتشرت في تلك الفترة، وقد تخصص كل سوق في صناعة وتسويق بضاعة معينة [6].

علما أن الصناعات اليدوية والحرف كانت منتشرة بكثرة في تونس، لهذا خصصت السلطة سوق لكل حرفة، وكانت هذه الأسواق تتكون من مجموعة من الدكاكين تجمع بينهم نفس البضاعة المعروضة للبيع ومن أشهر هذه الأسواق نذكر:

1الشاشية: هي قلنسوة رجالية تكون حمراء اللون في الغالب. –انظر: رشاد الإمام، المرجع السابق: ص 51.

2 ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص 95.

3كوثر العايب: المرجع السابق، ص24.

4 نفسه.

5 كمال مايدي : علاقات تونس مع دول أوربا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف عمار بن خروف ، السنة الجامعية 2011-2012م، المركز الجامعي بغرداية ، ص 22.

6 محمد بن عثمان الحشائشي : العادات والتقاليد التونسية الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية ، ط1، تحقيق الجلاني بن بن الحاج يحي ، دار سراس تونس، 1994، ص382.

– سوق العطارين:

سوق العطارين أو كما يعرف أيضا بباحة التوابل والعطور، تم بنائه في القرن13م [1].

– سوق القماشين:

هذا السوق خاص ببيع الأقمشة بأنواعها سواء كانت محلية أو أجنبية، وكل ما هو مصنوع من القماش مثل الأفرشة والأغطية، تم بنائه خلال القرن 15م.

– سوق الترك:

خصص هذا السوق لبيع الأشياء الثمينة الموروثة، كالملابس التقليدية، تم بنائه خلال القرن 17م.

– سوق الكبابجية:

تسمى كذلك نسبة إلى الكبائب جمع كبة وخصصت هذه السوق لبيع الألبسة التقليدية، تم بنائه خلال القرن 17م[2].

– سوق النحاسين: تعرف أيضا بسوق الصفارين خصصت هذه السوق لصناعة النحاس، يعود بنائها إلى العهد الحفصي.

– سوق السكاجين:

هذه الكلمة تحريف للأصل "شكازين" جمع شكاز وهو الحرفي المتخصص في صنع الاشكز وهي صناعة وتجميل جلد السروج.

– سوق الترك: تباع فيه الأشياء الموروثة ثم تخصص في بيع الملابس التقليدية مثل السروال التونسي[3].

هذا المدخل كان عبارة عن ملخص للأوضاع السياسية والاقتصادية لتونس منذ دخولها تحت لواء الدولة العثمانية إلى غاية تولي حمودة باشا الحكم .

1الحشائشي:المصدر السابق، ص 379.

2نفسه: ص383.

3 نفسه: ص 713

بالإضافة إلى كل ما سبق نستنتج ما يلي:

أن حكام تونس اللذين عملوا تحت لواء الدولة العثمانية جلهم عملوا على تطوير تونس في شتى المجالات خاصة المجال الاقتصادي حيث قاموا ببناء الأسواق واهتموا بالتجار وسنوا قوانين لتنظيم التجارة.

لكن حمودة باشا بذل مجهودا اكبر مقارنة بمن سبقوه ، وهذا ما سنراه في الفصول التالية .

المبحث الأول:

حمودة باشا والأوضاع العامة في عهده

المطلب الأول:حمودة باشا ومجيئه إلى الحكم:

1- مولده و نشأته.

2- أهم صفاته.

المطلب الثاني:الأوضاع السياسية في عهد حمودة باشا :

1-الإصلاحات حمودة باشا الإدارية .

2-العلاقات السياسية في عهد حمودة باشا.

أ-العلاقات السياسية مع الدولة العثمانية.

ب-العلاقات السياسية مع دول الجوار:

ب-1- مع الجزائر .

ب-2- مع طرابلس الغرب.

ج-العلاقات السياسية مع أوربا.

المطلب الثالث:الأوضاع العسكرية في عهد حمودة باشا.

المبحث الأول: الأوضاع العامة في عهد حمودة باشا

المطلب الأول: حمودة باشا ومجيئه إلى الحكم.

أ-مولده ونشأته:

ولد في 18ربيع الأول من 1173هـ الموافق لـ 1759/12/08م أمه جارية اسمها محبوبة، اعتنى والده بتربيته، فحرص على تحفيظه ما تيسر من القرآن، و اخذ علوم الفقه من العالم أبا محمد حمودة باكير[1].

كما درسه النحو والحساب والتاريخ، تعلم اللغة التركية نطقا وكتابة وأتقن شكلا من أشكال اللغة الايطالية واللغة الفرنسية والمالطية، أنهى تعليمه لما بلغ 18سنة، فزوجه والده من ابنة الشيخ الإمام المفتي أبا عبد الله محمد بن الشيخ المفتي أبا عبد الله البارودي،[2]أنجبت له عدة أولاد لكنهم توفوا جميعا في سن صغيرة ومن بين هؤلاء ابنه محمد الذي ولد في 1128هـ- 1791م وقد توفي في سن الثامنة، هذا ما احزن حمودة باشا وانقطع عن مقابلة الناس و الأكل إلى أن أصابته حمى كاد أن يموت بسببها[3].

بدأ حمودة باشا ممارسة شؤون السلطة وعمره لم يتجاوز سن 16 وذلك بتوليه الحكم في القضايا المعروضة على محكمة الباي منذ عام 1774م، كما تولى نيابة أبيه في النظر في أمور البلاد وأحكامها وتكون هذه الأحكام مختومة باسم والده، كما انه وقع رفقة أبيه على عدة معاهدات وكان هذا منذ سنة 1781م، وهنا ظهرت أهليته لتولي العرش وكان ذلك في سنة 1782م.[4]

1أبا محمد حمودة باكير: عالم من علماء تونس درس بالجامع الأعظم، توفي في 25 من ذي الحجة سنة 1220هـ الموافق لـ16 مارس 1806م.- انظر :ابن أبي الضياف، المصدر السابق،ج3 ،ص 49.

2 البارودي: ولد 1199هـ/ 1784م، هو حسين البارودي الحنفي التونسي أبو عبد الله تولى الإفتاء في عهد حمودة باشا .-انظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982، ص 72.

3 ابن أبي الضياف: المصدر السابق،ج3، ص 11.

4 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص، 72. 100.

تعلق حمودة باشا بالحياة العسكرية وقيادتها، حيث كانت قيادته تتصف بالفطنة والتحلي بالشجاعة والإقدام، وقد تجلت هذه الشجاعة في عدة مناسبات منها صموده أمام حرب البندقية في 1784م-1792م[1].

ب-أهم صفاته: كان حمودة باشا طويل القامة، أنيق المظهر يحمل طابع الرقة وملامح الذكاء وبعد النظر[2]، ويحمل أيضا ملامح خاصة تدل على النبل والأصالة والسمو وهي سيمات زادت في امتياز أنماط تصرفه [3].

المطلب الثاني : الأوضاع السياسية في عهد حمودة باشا:

بعد أن رضي محمود باي التنازل عن العرش لصالح ابن عمه حمودة باشا، وهو أول من بايعه وقدم له الطاعة و الولاء، وكان هذا في سنة 1782م فبادره حمودة بالتقدير والاحترام واستشارته في أمور الدولة إضافة إلى هذا صاهره في إحدى أخواته، وبالتالي ضمن حمودة ولاء اخطر منافس شرعي له على العرش إلا انه وبعد وفاته تغيرت الأوضاع، حيث خلفه أخاه عثمان باي وظهرت نزاعات بينه وبين محمود باي، هذا الأخير دبر مؤامرة ضده انتهت بمقتل عثمان باي وعائلته وارتقاء محمود باي إلى عرش تونس [4].

إضافة إلى تكريم حمودة باشا لابن عمه إلا انه لم ينسى إخوة محمود باشا حيث أغدق عليهم بالعطايا والهدايا والامتيازات، هذه السياسة جعلت عائلته تنجذب إليه نتيجة إمكانياته الفكرية ومعاملته الودية لكسب إعجاب أفراد عائلته .

وفيما يتعلق بإخوته وأخواته كان حمودة باشا كثير الحب لهم ويحاول إرضاءهم بشتى الطرق [5].

---

1 حرب البندقية:كانت في ولاية علي باشا بسبب استئجار بعض التجار التونسيين في عام1781م سفينة بندقية من الإسكندرية إلى تونس إلا أن ركاب السفينة أصابهم وباء، فدخل الرايس بهم إلى مالطا،وانزل السلع بها،بعدها طالب التجار بأموالهم من الرايس لأنهم وضعوها في مركبه من اجل إيصالها إلى تونس هذا ماتسبب في نزاع . انظر:ابن أبي الضياف،المصدر السابق،ج3،ص20

2 انظر:الملحق رقم 01، ص75

3 محمود مقديش: المصدر السابق، مج2، ص 72.

4 ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج3، ص 177.

5 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص167.

أما معاملاته مع أخيه عثمان فقد كانت مختلفة من حيث العطايا، وهذا سبب تخوفه من نتائج ثراءه الذي ترتب عنه العصيان والثورة، كما أن حمودة باشا كان يعقد اجتماعات مع أفراد العائلة المالكة لاستشارتهم فيما يعرض على الدولة من أمور وأحداث هامة [1].

لقد كان لحمودة باشا طريقة أخرى في التعامل مع عائلته إذ انه تميز بالشدة والحذر والبطش مع الأمراء المخالفين له والعاصين لأمره، هذه الصفات تميز بها منذ أن كان وليا للعهد ومشاركا لأبيه في الحكم في 1777م- 1782م، كما انه كان شديد القسوة مع الأمراء الذين يظهرون مثلا للتعامل مع الحكام الجزائريين لإحداث الاضطرابات والفتن بتونس، حيث أن يونس باي[2] ثار على أبيه علي باشا وبسبب هذا ظهرت الحروب، ومن أهم ما ترتب عنها هروب يونس إلى قسنطينة، وكان هذا في 1792م، اغتنم بايات قسنطينة مجيء يونس باي فأخذه كرهينة، وهذا من اجل إثارة الفتن مع حكام تونس، وبقي هناك إلى غاية وفاته في 1768م، وقد خلفه أبناءه الذين سعوا لاعتلاء العرش، ومن هؤلاء إسماعيل لمواصلة المطالبة بالعرش وكان هذا بتحريض من حكام الجزائر [3].

في عهده انتقل إسماعيل من الجزائر إلى تونس واستقر بها، وكان هذا بموافقة من حمودة باشا وهذا بعد أن قطع إسماعيل وعدا بعدم التدخل في شؤون الحكم والسياسة، لكنه لم يكن صادقا في هذا الوعد، هذا ما دفع بالباي إلى إعدام إسماعيل خنقا في عام 1799م، وبهذا تخلص حمودة باشا من أخر منافس له على العرش وتفرغ إلى تحسين الأوضاع في البلاد [4].

1- إصلاحاته الإدارية :

كان العثمانيون ينظرون إلى السكان الأصليين كأهالي غير قادريين على تحمل مسؤولية إدارة البلاد وحكمها، ووصلوا إلى درجة أنهم صنفوا أولادهم المولودين خارج الأستانة في نفس مرتبة سكان شمال إفريقيا، وقد اثر هذا التصنيف على الإدارة والحكم والجيش .

---

1 ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج 3، ص177.

2 يونس باي: هو ابن علي باشا بن محمد نشبت حرب بينه وبين شقيقه محمد باي انتهت بفرار يونس باي إلى قسنطينة – أنظر: رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 170.

3 ابن ابي الضياف، المصدر السابق،ص177.

4 نفسه، ص 170-173.

في أوائل القرن 17م فرض عثمان باي على سكان المدن ماعدا الأتراك ضريبة تعرف بالمجبى، [1] تصرف على لوازم وحاجيات الجند ومع مرور الوقت تعاظمت هذه الضريبة وصارت مصدر للمظالم والقهر والتنكيل بالأهالي، ومع أن الأسرة الحسينية هي أسرة تركية إلا أن جند الأتراك وبسبب أن مؤسس الدولة حسين بن علي كان من أصل يوناني، كانوا يعتبرون باياتهم وحكومتهم كدولة تونسية محلية، أما الأهالي فكانوا يرون الحكام الأتراك مغتصبون وغزاة وكانوا يرون أنفسهم مقهورين[2].

لما تولى حمودة باشا الحكم في تونس وجد نفسه في وضع إداري متأزم وسيء، ولإصلاح هذا الوضع قرر إزاحة العنصر التركي من المراكز الإدارية والعسكرية [3].

حيث جعل السلطة مطلقة في يده وقام بتوحيد سلطة الحكم لاستقرار الدولة وتحقيق الأمن للايالة وسلامتها، ونظرا لكفاءته قام بتصفية بعض المسؤولين وأجبرهم على مغادرة البلاد

ومن أهم هؤلاء الوزير إسماعيل كاهية، صهر الباي علي والد حمودة باشا الذي اخذ رجاله وهرب بأمواله. بعد سنوات قليلة من بداية عهده استطاع حمودة تعويض عدد من الأتراك برجال آخرين اصدق عملا، واستطاع في وقت أخر إزاحة العناصر التركية خاصة الجند الأتراك، والضرب على أيديهم في الثورة التي قام بها الجند في 1811م. [4].

لقد تعرض حمودة باشا لصعوبات وعراقيل بسبب العنصر التركي عندما شرع في تنفيذ سياسته الإصلاحية والعسكرية، حيث أزاحهم وعوضهم بموظفين تونسيين لإدارة الوظائف الهامة في الدولة إلا أن هذه المبادرة لم تنجح لعدم توفق العديد من التونسيين في مهامهم التي أسندت إليهم [5].

اقتنع حمودة باشا بعد التجربة، أن تسليم الحكم والسلطة لسكان البلاد لا يعود بالخير عليهم ولا على الدولة، حيث أن احمد بن عباد الجربي التونسي خزندار علي باشا هرب سنة 1778م بجميع

---

1 بالمجبى: هو مبلغ من المال كان يفرض على الرعايا التونسيين من طرف السلطة العثمانية ويتم توزيعه على العساكر في دار الباشا حسب مراتب العساكر .– انظر: محمود مقديش، المصدر السابق، ص 86.

2 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 172.

3 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 172، 174.

4 ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج3، ص 35.

5 نفسه.

الأموال إلى مدينة الإسكندرية لما كان حمودة باشا وليا للعهد. لقد أثرت هذه الواقعة على الوضع المالي للدولة من يوم حدوثها إلى أن تولى حمودة باشا العرش[1].

بعد هذا اتبع طريقة ثابتة لإصلاح الإدارة، وهي جلب أطفال صغار السن من تركيا وتربيتهم تربية خاصة ثم تدريبهم بعد هذا سلمهم خطط الإدارة والحكم وقد استثنى حمودة من تلك الوظائف جميع الخطط المتعلقة بالدين وخاصة المحاكم الشرعية التي كانت بيد علماء الدين.[2]

كان حمودة باشا شديدا في تربيتهم يعاقبهم على قلة الأدب، ليس هذا فقط بل منعهم حتى من التكلم بالعربية خوفا من الاختلاط، وكان يكلمهم باللغة التركية لكي لا ينساها، ومن هؤلاء وزيره يوسف صاحب الطابع [3].

إضافة إلى هؤلاء الموظفين كان هناك موظفون أوروبيون احتلوا مراكز مهمة في الدولة من بين هؤلاء Mariano sino وصديقه ومعينه Francesco romano، إضافة إلى هذا قام بتوظيف اليهود في سلك الخطط التونسية الهامة، ونرى أن حمودة باشا هو أول من سن هذه السياسة الإدارية حتى انه في بعض الأحيان فضلهم عن الأوروبيين، وبالتالي شغل اليهود في عهده عدة مناصب مالية هذا ما مكنهم من احتلال مناصب مهمة في تسيير الدولة، ومن بين هؤلاء "فايديب خزندار" وهو الذي يقبض معظم مداخيل الدولة من الضرائب[4] .

كما تقلد اليهود مناصب دبلوماسية حيث تم تعيينهم كقناصل مثل "نيسان" وزميله المترجم "داوود زومير"، هذا الأخير كان يمضي اسمه في أخر معظم الرسائل التي كان يترجمها للباي من اللغة العربية إلى اللغة الانجليزية، وبالتالي سياسة توظيف اليهود قد بدأت في عهد حمودة باشا وطبقوها البايات اللذين جاؤوا من بعده، إضافة إلى هذا فإن اليهود وبفضل مالهم و ثرواتهم استطاعوا السيطرة

1 نفسه.

2 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 178.

3 صاحب الطابع:حامل ختم الوالي وظيفته ختم المكاتب وهو وسيط بين موظفي الدولة والباي. –انظر: محمد بيرم الخامس،المصدر السابق،ص423

4 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 179.

على جميع الخطط السياسية سواء المتعلقة بخزينة الدولة أو بالإدارة العامة لها، ونتيجة لتسلط اليهود على هذه المراكز الهامة أصبح الأهالي تحت رحمتهم ونفوذهم [1].

إلى جانب هذه التغيرات قام حمودة باشا بإصلاحات إدارية أخرى وقد اعتمد في هذا على تعيين الشباب في الوظائف الهامة محل الشيوخ ومثال على هذا تعيين "يوسف صاحب الطابع" وهو لازال شابا حيث قام بتنظيم الإدارة في الولايات داخل الايالة التونسية وتعيين القياد و مراقبة أعمالهم الإدارية والحد من تجاوزاتهم تجاه الباي [2].

2-العلاقات السياسية في عهد حمودة باشا:

أ- مع الدولة العثمانية:

كان الضعف والهوان يدب في كيان الدولة العثمانية في هذه الفترة، وبالتالي أصبحت تبعية ايالة تونس لهذه الدولة تغلب عليها الصبغة الدينية، حتى أن رجال الشريعة كانوا شديدي التمسك بالبيعة التي في أعناقهم للسلطان العثماني، أما التبعية السياسية فسعى حمودة باشا إلى التخلص منها ومكافحتها حتى تمكن من تكوين شخصية سياسية لتونس، والدليل على ذلك إبرام العديد من المعاهدات مع فرنسا بدون الرجوع إلى الباب العالي، إضافة إلى هذا رفض حمودة باشا إرسال جيشه لوقوفه إلى جانب الجيش العثماني من اجل محاربة قراصنة اليونان في بحر ايجا 1789م، إلا أن أكثر الأحداث والوقائع الدالة على استقلال حمودة عن الدولة العثمانية هي قتله للجند الأتراك سنة 1811م، وهي حادثة تعتبر الحد الفاصل والنهائي لتبعية حمودة باشا للسلطة العثمانية، وبالتالي نرى أن حمودة باشا سعى للانفصال والاستقلال عن الدولة العثمانية منذ اعتلائه العرش سنة 1782م والتمتع بحكم مطلق في تونس [3].

ب-مع الدول العربية والمتوسطية:

ب-1-مع الجزائر:

---

1 نفسه: ص 183.

2 نفسه: ص 375، 376.

3رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 356، 367.

تزامن عهد حمودة باشا مع عهد الداي مصطفى[1] في الجزائر، والتي تراوحت فترة حكمه مابين 1798م 1805م، شهدت هذه الفترة نزاعات بين الإيالتين سببها أطماع تونس في اخذ كل من عنابة وقسنطينة، كما استغل حمودة باشا المشاكل الداخلية في الجزائر للتملص من دفع مبلغ مالي من المبالغ المالية التي كانت تدفعها تونس للجزائر[2].

ب-2-مع طرابلس الغرب:

عندما تولى حمودة باشا الحكم سنة 1782م كان الوضع يزداد سوءا بسبب الحروب التي أحدثتها الفتن المشتعلة بين أفراد أسرة القرمانلي[3] بسبب الحكم، فأراد التدخل من اجل فض هذا النزاع الذي كان بين عائلة القرمانلي والولاة العثمانيين، وبعد تولي علي أفندي[4] العرش في طرابلس الغرب، توجهت عائلة القرمانلي إلى حمودة باشا هذا الأخير أسكنهم احد قصوره مما جعل علي أفندي يتوعد حمودة باشا بانتزاع تونس وصفاقس وسوسة والحمامات وجزيرة جربة، إضافة إلى هذا قام باختطاف سفينة تونسية رغم الإجراءات الشديدة التي اتخذها حمودة باشا، وبعد هجوم علي أفندي على جربة هنا اتخذ حمودة باشا سياسة هجومية لاسترجاعها، وتمكن أيضا من محاصرة طرابلس وطرد علي أفندي وتعيين الأسرة القرمانلية على طرابلس الغرب.[5]

---

1 الداي مصطفى :هو مصطفى إبراهيم تقلد الحكم بعد حسن باشا سنة 1212هـ /1798م كان أيام السلطان العثماني سليم الثالث، وهو من أشهر دايات الجزائر عاصرت فترة حكمه فترة حمودة باشا –انظر: رشيد مريخي: الجزائر في عهد الداي مصطفى 1212هـ-1220هـ /1798-1805م، رسالة لنيل شهادة الماجستير، عمار بن خروف، السنة الجامعية 2010م-2011م، جامعة الجزائر، ص 42.

2 نفسه: ص 42-44.

3 القرمانلي:هي أسرة تركية هاجرت إلى ليبيا واستوطنت طرابلس، أول حكامها احمد القرمانلي الذي شغل عدة مناصب عسكرية في ليبيا وكان قائد المليشيا أيام ولاية خليل باشا، واستطاع بسياسته أن يتقرب إلى الجنود والشخصيات البارزة في البلاد–انظر: شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 133

4 علي أفندي: هو الملقب بالجزائري نظرا لإقامته في الجزائر، ولقب كذلك بعلي برغل وبرغل بالتركية معناها القمح المسلوق، وقد أطلق هذا الاسم عليه لأنه كان يطعم جنوده البرغل بدلا من الأرز –انظر رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 370.

5 نفسه.

جمعت هذه الأسرة وحمودة باشا علاقات طيبة حيث أقام حمودة وكيلا في طرابلس الغرب، كما أقام القرامانليين وكيلا لهم في تونس.

ج–العلاقات السياسية مع أوروبا :

عمل حمودة باشا على المحافظة على العلاقات الطيبة مع حكام الدول الأوروبية، وكان هذا عن طريق القناصل والسفراء والمبعوثين، أما علاقته مع بريطانيا وفرنسا لم تكن مستقرة وهذا نظرا للحروب التي كانت بين البلدين، أمام هذا كان حمودة باشا يحاول ضمان مصلحة تونس، وقد تشبث بموقف الحياد أمام الصراع القائم بين الطرفين، وعندما ترجح مصلحة تونس مع إحدى الطرفين يميل الباي إلى الجانب المنتصر في سياسته الخارجية، وقد حدث هذا مرتين خلال حكمه، الأولى كانت في سنة 1805م عندما انتصرت فرنسا على بريطانيا في إحدى الحروب[1]، أمام هذا تم الضغط على القنصل البريطاني واحدث له مشاكل في تونس فقرر القنصل مغادرة تونس، والثانية حصل عكس ذلك فبعد هزيمة نابليون في حروبه مع روسيا، ظهر تغيير ملحوظ في سياسة حمودة باشا وذلك لوجود مصالح مع بريطانيا على حساب فرنسا [2].

المبحث الثالث: الأوضاع العسكرية في عهد حمودة باشا .

كان حمودة باشا شغوفا بالحياة العسكرية منذ شبابه، إضافة إلى هذا كان يرغب في الاستقرار الداخلي وحماية الدولة، فاقتصرت سياسته العسكرية في بداية عهده على زيادة عدد الجند والاهتمام بهم، وهذا خلافا للسياسات التي سار عليها البايات السابقون منذ 1756م، حيث كان عدد الجند لا يتجاوز 2000جندي عثماني، والمطلوب من هذا الجيش حراسة الحكومة وحفظ أمن الدولة، لكن حمودة باشا أراد مضاعفة عدد الجند العثماني وكان الهدف من وراء هذا هو امتلاك جيش أقوى من الجيش الجزائري، وقد بلغ عدد الجيش سنة 1811م قرابة 9000 مقاتل [3].

وقد ذكر ابن أبي الضياف اهتمام حمودة باشا بالجيش قائلا "...**كان للباي أبي محمد حمودة باشا شغف بجنده، ...، يؤثر بالإحسان والمودة والقرب، ويرى أنهم بطانته ووقايته،**

---

1 نفسه،ص343.

2 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 343، 345.

3 نفسه: ص 367-390.

شان الملوك مع حاميتهم وبالغ في الالتحام بهم حتى انه اتخذ لنفسه بيتا في القشلة[1] البشماقجية[2] يأتيها إذا كان بتونس..."[3].

ويضيف ابن أبي الضياف قائلا" وقد أشرك معهم في الخدمة عددا كثيرا من أبناءهم المولودين في البلاد... فكان إذا رأى شابا قوي الجسم من سواد البلاد يقول له : "**لا ياسيدي أبي فلان وجدي فلان"فيكذبه رؤساء جوانب الترك ويشهدون بان أباه أوزون محمد أو دالي باش أو كور علي وغير ذلك من الألقاب التركية، فيعمل بشهادتهم** " [4]

على الرغم من معاملة حمودة باشا الحسنة لجنده كان الجند يكنون له الخيانة والغدر، ليس هذا فقط بل أنهم كانوا يعتبرون حمودة باشا والعائلة الحسينية رغم أنها عثمانية اقل شانا، لأن مؤسس الدولة حسين بن علي كان يوناني الأصل وأمه تونسية، و من ثمة كان الأتراك ينظرون إلى تلك العائلة الحاكمة وحكومتها التونسية، اقل قيمة ودرجة منهم إضافة إلى هذا الشعور بالرفعة كان الجند الأتراك يتصفون بصفات منحطة، حيث كانوا يظلمون الأهالي وهم سبب الفوضى في البلاد ومصدر المظالم المسلطة على الأهالي، وقد بلغت جرائم الجند ما بلغت، حيث أصبح الجند يهاجمون السكان عدة مرات في الليلة الواحدة[5] .

أمام هذا الوضع المضطرب قام حمودة باشا بنزع أسلحتهم وإبقائهم عزلا بعد محاولة اغتيال القنصل البريطاني عند رجوعه من قصر الباي، وقاموا بنشر الفوضى في العاصمة وقتلوا الأهالي ونهبوا الدكاكين والبيوت [6].

---

1 القشلة : هي الثكنة ، أي مركز الجند –انظر ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 3، ص 53.

2 البشماقجية : اسم يطلق على سوق من أسواق مدينة تونس يصنع فيه البشمق وهي نوع من الأحذية ليس لها مؤخرة –انظر نفسه، ص 54.

3 نفسه، ص 53.

4 نفسه.

5 ابن ابي الضياف، المرجع السابق، ج3، ص54.

6 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 192.

لهذا اتخذ حمودة قرار هو إبعاد الأتراك عن السلطة في الجيش بطريقة سلمية وشرعية حيث أمر قاضيه بيرم أن يصدر له قانونا شرعيا، يمكن الباي من أمور منها إلقاء القبض على من تحوم حوله الشبهات وهو القانون الذي ظهر تحت اسم رسالة في السياسات الشرعية [1].

ومن خلال هذا نستخلص مايلي:

-أن حمودة باشا كان مؤهلا لقيادة الايالة التونسية قبل وراثة العرش .

-تميزت سياسة حمودة باشا بالشدة واللين مع عائلته إضافة إلى هذا قام بعدة إصلاحات سياسية شملت الإدارة، وساهمت في تطوير الايالة التونسية حيث قام بتغيير الوزراء واعتمد على وزراء وإداريين يهود ومسيحيين .

-تميزت العلاقات السياسية في عهده بالسلم مع بعض الدول على غرار طرابلس الغرب، كما كانت لها علاقات عداوة تمثلت في الحروب مع بعض الدول الأوروبية والجزائر.

-اهتم حمودة باشا بالجانب العسكري، حيث عمل على تطوير الجيش وإنشاء مصانع لصناعة الأسلحة والعتاد الحربي.

1 نفسه ، ص 197.

المبحث الثاني

" الحياة الاقتصادية في تونس خلال عهد حمودة باشا ".

المطلب الأول: النشاط الزراعي.

المطلب الثاني: النشاط الصناعي.

المطلب الثالث: النشاط التجاري.

المبحث الثاني:الحياة الاقتصادية في تونس خلال عهد حمودة باشا

تعتبر البلاد التونسية وعلى مر الزمن بأنها بلاد زراعية، هذا ما جعلها محل أطماع العديد من الإمبراطوريات القديمة مثل الرومانية واليونانية وهذا لخصوبة أراضيها وتنوع محاصيلها الزراعية مثل الزيتون والتمور وغيرها، واستمرت هذه الأطماع في العصر الحديث من قبل اسبانيا وغيرها من الدول الأوروبية، ويعود ذلك التنوع في محاصيلها الزراعية إلى مجموعة من الأسباب أهمها:

المؤهلات الطبيعية لتونس :

1-التضاريس:

كانت تونس في ما مضى تعرف بافريقية، وحسب ما ذكر محمد مخلوف في كتابه شجرة النور الزكية "فهي احد الممالك الأربعة الواقعة في شمال إفريقيا، وهي طرابلس الغرب والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، ويحد إيالة تونس من الشمال والشرق البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب طرابلس الغرب والصحراء الكبرى ومن الغرب الجزائر[1].

تتكون تضاريس البلاد التونسية كغيرها من البلاد الواقعة في منطقة شمال إفريقيا، من جبال وسهول وهضاب، فالمنطقة الجبلية في تونس هي امتداد لجبال الأطلس الصحراوي، هذه الجبال تشق البلاد متجهة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرق[2]ي ، ثم تنحدر شيئا فشيئا حتى هضاب شبه جزيرة الوطن القبلي ، وفي التل التونسي الذي هو امتداد طبيعي للتل الجزائري ، توجد جهتان تحيطان شمالا وجنوبا بالسهول التي يشقها وادي مجردة وروافده [3] .

تحتوي تونس على عدة سلاسل جبلية منها جبال مطماطة وجبل طبرقة وجبل زغوان هذه الجبال بها على قمة أبي قرنين ، هذه الجبال تنخفض وتضيق عند وصولها للجنوب، تمر بالقرب من سواحل البحر وما يميز السلاسل الجبلية التونسية، أنها ليست بركانية، ماعدا جبل أبي القرنين لوجود فوهة مسدودة فيه[4].

---

1 محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف : شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية ، أخرجه عبد الجليل خيالي، ط 1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م ، ص 208- 209.

2 انظر: الملحق، ص76.

3 شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ج 1 ، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، مؤسسة توالت الثقافية،د. د.ب.ن،د.س.ن، ص 16، 17.

4 محمد بيرم الخامس.صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج 1، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 118.

كما تحتوي الإيالة التونسية على مجموعة من السباسب[1] جنوب السلسلة الظهرية فهناك السباسب العليا من الجهة الغربية من البلاد، حيث تنتصب في الأفق إلى جانب هذه السباسب هناك السباسب السفلى في الجهة الشرقية وهي سهول مترامية الأطراف تمتد من الجبال إلى البحر على وتيرة واحدة ماعدا جهة سوسة في الساحل حيث توجد الهضاب التي يشبه منظرها التل[2]. إلى جانب الجبال تتكون تونس من انهار مثل نهر مجردة الذي ينحدر من قسنطينة، وتصب في العديد من الجداول ليصب في البحر، كما يوجد بها جداول مثل واد ملا الذي يصب في جبال برقو[3].

2-المناخ:

تتميز تونس بمناخ معتدل خاصة في الجهة الشمالية، أما في الجهة الجنوبية فيغلب عليها الحر وتشتد الحرارة في فصل الصيف ويشتد البرد في فصل الشتاء لتصل درجة الحرارة إلى دون الصفر.

كما أن الثلوج لا تتساقط إلا في بعض الجبال وتبقى مكسوة بالثلوج طوال السنة حتى في فصل الصيف.

3-ملكية الأراضي في تونس:

كانت قواعد الملكية العقارية دائما غامضة لان حدود هذه الملكية في غياب وثائق الملكية كانت متروكة للصدقة في تغيير مواصفات الأرض، كما أن الإعلان عن انتقال الملكية لم يكن له وجود كما أن الأعباء على الملكية كانت اعتباطية أما الرهن العقاري فيكون عن طريق انتقال صك الملكية إلى الدائن .

أ-أراضي الموات:

هي الأراضي التي لم تزرع بأية صورة من الصور، والقاعدة الأساسية في الشريعة الإسلامية هي "من أحيا بعمله أرضا ملكها" أي أن شرعية الملكية ليست متأتية على الاستيلاء عليها، وإنما على العمل وحده، وتجنبا لما يقع من نزاع بين أكثر من مالك يعاقب على نفس الأرض تم إخضاع

السباسب:مفردها سبسب وهي الأرض المستوية ونعني بهاأيضا الأرض التي بها ماء . مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية،مصر،2008،ص414.

2 شارل أندري جوليان : المصدر السابق ، ص 17.

3 محمد مخلوف: المصدر السابق ، ص 209.

هذه الأرض لسلطة، لكن هذا ليس بمعنى أنها صارت ملكا له وهذا الإعلان يحرض المالكين السابقين على المطالبة بها منعا للمنازعات، كما انه بذلك يعطي للمالك صفة تثبت الحق المكتسب الضروري لضمان الملكية .

ب-أراضي القبائل:

تعتبر الإدارة هذه الأراضي أنها ملك للدولة لكن لم يتم الإشارة إلى منشأ هذه الملكية وذلك بحجة ضعف حق التملك الخاص بالقبائل ، كما أن الإدارة التونسية كانت تفرض على الرعية دفع العشر وهو ضريبة عائدات الأرض و الشريعة تقضي بان ارض الاعتبار هي بالضرورة المطلقة ارض تابعة للملكية الخاصة وان العشر هو الدليل الشرعي المطلق على صفة الملكية البينة، مع العلم أن القبائل لم تعتاد على دفع أية إتاوة من أي نوع لحكومة الباي [1].

ج-أراضي الحبوس:

وتشمل بناء المؤسسات الدينية والإنفاق عليها والتعليم على مختلف مراحله وتشجيع الدراسة بمكافآت دورية للتلاميذ والطلاب وإقامة وصيانة بيوت للطلاب وبناء المكتبات والمستشفيات ومأوي للذين لا مأوى لهم وبناء الجسور والطرق والأحواض والتحصينات والأسوار، وتدل هذه المؤسسات الخيرية التي انتشرت في البلاد على التضامن الاجتماعي والشعور بالمصلحة العامة، كما كانت أراضي الحبوس تؤجر للفلاحين والعقود خاضعة للضرائب، كما أن المبادلة كانت ممكنة وإجراء العقود لمدى الحياة وغير ذلك، وهذه الحبوس لا تلحق الضرر بالثروة العامة ولا بحركة المبادلات ولا تشبه أبدا الأرض غير المنقولة[2]

وكانت إدارة الحبوس تتلاءم علاقتها مع مستأجريها، وكان سلوكها مع سكانها البائسين مليئ بالرأفة والإنسانية، كما كانت تساهم مساهمة فعالة في تسهيل مهمة الحكومة الدقيقة في شؤون الديون الزراعية، كانت إدارة الحبوس في اعتدال أرباحها شاعرة بدورها الحقيقي وعاملا هاما في توازن أجور الأرض وبقائها في حدود معقولة [3].

1 عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، ترجمة وتقديم سامي الجندي، دار القدس بيروت، 1975، ص 94-98 .

2 نفسه:ص ،98

3نفسه، ص 99.

كان تعدد الحبوس يساهم بشكل فعال في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية، فكانت بذلك تحقق إلى حد كبير نفقات الدولة في المساعدات الاجتماعية وأعمال البر والتعليم، وكانت ميزانية نفقات هذه المؤسسات تتجاوز عشر عائدات الدولة[1].

هذه الأملاك تكون عبارة عن ملك عائلي لا تنتقل ملكيته ولا يحجز فهي وقف على سلالة الوصي وأحيانا لبعض أقاربه أو لغرباء عنه، حتى إذا انطفئ نسل الوارثين انتقل الملك إلى العمل الخيري العام يذكره الموصي في وصيته ويدخل في فئة الحبوس العامة وهذا النوع من الملكية يعادل ثلث التراب التونسي، كما أن هذه الملكية تساهم في القضاء على الفقر وذلك عن طريق زيادة الأملاك المكرسة للفقراء وهذا بتحويل هذه الملكيات إلى الطبقة الغير المالكة.

د-الأراضي الحرجية :

تضم الغابات التي كانت تستغل استغلالا فاضحا.[2]

يعتبر الباي حمودة باشا من البايات الحسينيين الأوائل الذين حاولوا النهوض بالايالة، وظهر هذا من خلال الإصلاحات التي شملت مختلف المجالات، خاصة المجال الاقتصادي الذي له دور كبير في السياسة الداخلية للبلاد حيث ظهر استقرار وتحسن ملحوظ لم تعرفه الايالة من قبل، ولهذا نطرح السؤال التالي وهو: كيف كان اقتصاد ايالة تونس زمن حمودة باشا ؟ وما هي أهم الإصلاحات والجهود التي بذلها للنهوض بهذا القطاع ؟

1-النشاط الزراعي:

أ-أهم المزروعات

ينقسم القطر التونسي إلى ثلاثة أقسام باعتبار أن الأراضي الخصبة في الجهة الشمالية التي هي أكثر جبالا وهي الأكثر خصوبة، أما القسم الثاني فهو الجهة الوسطى من البلاد والجهة الشرقية من الجنوب بالقرب من البحر، ومن أهمهم ساحل القيروان وصفاقس، هذه المنطقة تتم فيها الزراعة بنسبة قليلة مقارنة بالمنطقة الأولى[3].

1 عبد العزيز الثعالبي:المرجع السابق، ص113

2 نفسه، ص 114.

3 محمد بيرم: المصدر السابق، ص 112.

أما القسم الثالث والرابع فهو غير صالح لزراعة الحبوب وهو الجهة الجنوبية المسماة بالجريد لأنها ارض رملية وقريبة من الصحراء، وهذه المنطقة تقل فيها الأمطار وإذا تساقط المطر فيها اضر بأهلها لان المنطقة أكثر نباتاتها النخيل[1]، أما المزروعات الموجودة في القسم الشمالي هي الحبوب منها القمح والشعير وكذلك الذرة والفول والجلجلان وحبة الحلوى والكروية والبسباس والحبة السوداء والكتان والقطن والفاصوليا والبطاطا والحمص والعدس [2].

وقد كان هناك ما يسمى بمخزن الحبوب، إضافة إلى هذه هناك مزروعات أخرى مثل البقول والطماطم والبصل والسبانخ والكرنب والفلفل بأنواعه والثوم والخس، والفواكه مثل البطيخ والفراولة وكل هذه الثمار تنمو إمام المجاري المائية،كما كانت تتوفر الورود بأنواعها مثل الياسمين والفل والقرنفل كما كانت هناك غابات كثيفة وجميلة وقد كانت مورد للتجارة في الأخشاب وتحتوي هذه الغابات على أشجار الصفصاف والبلوط والبندق والقسطل والدردار والعرعار، وهذه الجبال تقع في جبل زغوان[3].

كما اشتهرت تونس بزراعة الزيتون وكان يعتبر من ثروات البلاد الرئيسية زمن طويل وقد تألق السكان الأصليون في ابتكار وسائل لزراعة هذا المحصول وكانت تتم زراعة الزيتون عن طريق اخذ قطعة من الفروع بأوراقها وعروقها وتغرس بحيث تبقى الفروع ظاهرة، ويقطع من فروع الشجرة وتوجد هذه الشجرة بكثرة في سبيطلة والقيروان، ولا تزرع هذه الأشجار منفردة في بادئ الأمر بل بعدد كبير في مكان يسمى المشتلة [4]، وبعد ثلاث سنوات من نباته تنقل كل شجرة إلى محلها وهذا الصنف هو الأكثر استعمالا للأهالي كما يتم الاعتناء به سقيه وفي الغالب هذه الشجرة لا تنبت من غير سقي في السنين الأولى، فإذا نبتت عروقها ترك عن طريق الأمطار وهذه الثمار تتنوع في الطعم والزيت واغلب هذه الأنواع الأسود الصغير الحجم، كما ينمو الزيتون في قفصه، طعمه لذيذ وهو اخضر متوسط الحجم دقيق النوى، يتقن زراعته أهل زغوان وهناك نوع أخر يسمى

1محمد بيرم: المصدر السابق: ص 115.

2 نفسه ، ص 115.

3 نفسه: ص 117.

4 المشتلة: أو المشتل وهي مكان وجهز لإجراءات تكاثر النباتات والزرع على نطاق واسع وهو عبارة عن ارض زراعية تربى فيها النباتات على اختلاف أنواعها حتى تصبح مهيأة للاستعمال أو تنقل إلى المكان المستديم لها –انظر مجمع اللغة العربية:المرجع السابق، ص613.

الطازلا الكبير و يكون حجمه كبير اسود اللون، ومن أنواعه المسكى هو المكركب المائل إلى البياض[1]، إضافة إلى زراعة الزيتون اشتهرت تونس بزراعة البرتقال وفيه أنواع، وهو الطرابلسي والمالطي والجبالي وتوجد أنواع غريبة منها البرتقال غير الحامض بل فيه حلاوة زائدة ومنها النارنج اواللليم الحلو، إلى جانب زراعة الليمون وفيه أنواع منها:

ما ينمو في جميع الفصول والكمثرى [2]وقد تنقل إلى أوروبا وكثرت زراعته في السنين الأولى ثم تراجع إنتاجه [3].

إضافة إلى هذا كانت هناك أنواع فواكه أخرى مثل التفاح والمشمش ومن أشهر أنواعه الشاشي يكون صغير مبيض ومنقط بالحمرة والأسود والأبيض والأخضر، واللوز والعنب والتين والخوخ والهندي وهو نبات شجرته لها شوك كثير ليس لها ساق يسمى في المشرق بالصبار يستعمل بكثرة كسياج على البساتين طيب النكهة، كما ينبت في هذا الإقليم التبغ وهو ورق التدخين وهو اغلي ما يزرع في هذا القطر سيما ما يزرع منه في باجة ...وغيرها وكان التبغ يسحق ناعما للغاية وكان يدر أرباحا طائلة على البلاد كما كانت هناك منتجات أخرى مثل الجوز والسفرجل والعناب والزعرور والرمان والموز والنخيل وينمو في المنطقة عدة أنواع منها الأخضر والأصفر، أما في الجريد فهناك أكثر من مائتي نوع لا نظير لها في الحلاوة ولذة الطعم [4].

أن الايالة التونسية تتمتع بخصوبة في أراضيها مكنتها من إنتاج مزروعات كثيرة مثل القمح والزيتون ومختلف الثمار والدليل على ذلك أن الفلاحين بلغ عددهم 2700 فلاحا تجاوزت أعمارهم 18 سنة، وكانت مساحة الأرض المزروعة بالحبوب 200.000 هكتار ذات إنتاج وسطي بالقمح والشعير،كما اشتهرت الايالة التونسية بزراعة الزيتون ومنحت الجوائز لهذه الزراعة على شكل إعفاء من الضرائب لخمسة عشر سنة منذ الزرع وقد بلغت المساحة المزروعة في تونس حوالي 9 ملايين هكتار من مجموع 12.5[5]، وقد قسمت الأراضي الزراعية إلى ما يلي:

---

1 محمد بيرم: المصدر السابق،ص 116.

2 الكمثرى: مفرد كمثرة وهو شجرة مثمرة من الفصيلة الوردية ، أصنافه كثيرة يسمى في بعض البلدان الأجاص وتطلق الكلوة أيضا على الشجرة ويكثر شجره في بلاد الشام –انظر: مجمع اللغة العربية، المرجع السابق،ص562.

3 محمد بيرم الخامس المصدر السابق، ص 116، 117.

4 نفسه ، ص 117، 118.

5 عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق، ص88. 94.

2.800.00 هكتار للأراضي الزراعية .

100.000 هكتار مروج طبيعية ومراعي .

370.000 هكتار زراعات شجرية.

1.000.000هكتار غابات .

4.730.000 هكتار حقول للرعي .

130.000 هكتار مختلفة الإنتاج.

كل هذه الأراضي كانت أهلة وتقوم فيها ملكيات مختلفة الصيغة من أملاك خاصة إلى أملاك جماعية ، حبوس وأوقاف عامة وخاصة [1].

-أهم إصلاحات حمودة باشا في الزراعة :

عمل حمودة على تشجيع الزراعة وتدعيم الفلاحين ولذلك قام بعدة إصلاحات أهمها :

- تشجيع الناس على الكد والجد ومن أهم المصادر التي ذكرت هذا ابن أبي الضياف حيث ينقل لنا أن حمودة باشا كان يقوم بتدعيم الفلاحين الضعاف المجاورين لأملاكه وكان يشتري منهم الحبوب والأغنام وغيرها [2].

أ- تحسين المنتوج :

رغم جودة المنتوجات الفلاحية التونسية سعى حمودة باشا لتحسينها وهذا عن طريق إتباع سبل لتحسينها .

في عهده كان هناك فرنسيون يقومون بتجارب لتحسين الإنتاج الزراعي إضافة إلى هذا كانوا يقومون من اجل تغيير رائحة لحم الخروف بسبب كثرة شحمه وكثافة صوفه كما اصدر قوانين لتحسين الإنتاج وزيادته وابرز مثال على ذلك انه اصدر قرار في 1807م يمنع ذبح الأبقار والأغنام والماعز في تونس وكان هذا لمدة معينة .

1 عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق ، ص115. 136

2 ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج 3، ص 263.

ب- تامين أسعار رابحة للمزارعين تشجيعا لهم:

وكان هذا من اجل القفز بالإنتاج حيث كان الباي يشتري أحيانا الكثير من حبوب المحصول التونسي من المزارعين بأسعار اعلي مما هي عليه في السوق ليعيد بيعها في الخارج [1]

أن الحبوب التونسية المعدة للتصدير كانت في زيادة مستمرة منذ 1785م كما انه منع التجار الأجانب من بيع وشراء الحبوب من المزارعين التونسيين قبل استواء المحصول وذلك للتعب الشديد الذي كان يصيب هؤلاء في تسعير ثمن حبوبهم حتى يستطيع المزارع العمل بيسر في سنته الزراعية التالية،كما أن حمودة باشا هو أول باي سمح بتصدير المنتوج الزراعي التونسي إلى أوروبا بصفة مباشرة ورسمية، كما أن هذه العملية أدخلت نشاطا جديدا في الزراعة بتونس وهناك من يرى أن سبب تنشيط الزراعة التونسية هو إدارة حمودة باشا المنظمة وسياسته الواضحة ومصالحته للدول ومثال ذلك الصلح مع البندقية في 1792م .

هذه العوامل أوجدت أسواقا خارجية، ساهمت في وفرة الإنتاج الزراعي والسبب في ذلك كثرة الطلب الخارجي وبالتالي تم تعميم زراعة الحبوب على مختلف أنواعها وهذا لما تجنيه هذه المنتجات من أرباح طائلة ويذكر احد القناصل انه وفي سنة 1802م أن كميات القمح المنتجة في تونس لا يمكن لأحد أن يعرفها حتى الباي نفسه والى جانب الحبوب كانت الايالة التونسية تنتج محاصيل أخرى خلاف الحبوب منها زيت الزيتون والتمور [2].

ج- إصدار قوانين جديدة لوضع حد للفوضى التي كانت سائدة في مجال الضرائب والعائدات المرسومة على الزراعة :

كانت ولاية والقياد قبل عهد حمودة باشا تتم بتعيين من الباي وكان هذا التعيين يتم بإذن إداري وكان العامل يستخلص من أهل عمله العشر من مداخيل الزراعة وهو ما يسمى بالخلاص وكذلك الزكاة الشرعية المترتبة على الموالين غير أن العمال يستعملون طرقا أخرى عديدة لأخذ أموال الناس وهذه الطرق هي الهبة وكان البايات لا يرون حرجا في هذه الأعمال [3].

---

1 رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 263.

2نفسه، ص 265.

3 ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج 7،ص 16.

لما تولى حمودة باشا عرش الايالة التونسية أراد تغيير هذه الأوضاع وقد أقام نظام جديد اقترحه وزيره وكاتبه حمودة بن عبد العزيز، وهو نظام يقتضي تولية العمال على مشارطه مالية، مثل ما كان عليه الوضع في الباب العالي، على أن يكون وراء سيرة العمال في أعمالهم مراقبة من الدولة وأوكلت إدارة شؤون العمال إلى يوسف صاحب الطابع[1]، وبهذا الترتيب أصبح يطلق عليه اسم الإنفاق [2]وقد بقي العمل بهذا التنظيم في جمع الجباية وتولية العمال حتى سنة 1855م بعدها تم سن قانون جديد أخر إلى جانب هذا كان يخفف الجباية في بعض الأحيان بإسقاطها [3] .

كما كان يسمح للمزارعين المظلومين من طرف ملتزمي المزارع والدولة بالاستيلاء على أطراف مزارعهم الخاصة بدعوى أنها للدولة وسمح لهم بإقامة الدعاوى على الدولة وصار المتضررون يطلبون من وكيل حمودة باشا ويحاكمونه وينتصفون منه.

تربية المواشي:

أن تربية المواشي متعلقة بحركة الأراضي، إذ أن الفلاح التونسي هو أول مربي للماشية وكان يترك نصف أرضه مراعي للقطعان، وكانت هذه الصناعة من أهم موارد البلاد، وكانت منتجاتها من لحم وصوف وجلود وسمن مذوب وكان هذا سببا في ازدهار النشاط الاقتصادي المزدهر [4].

2-النشاط الصناعي:

شهد المجال الصناعي ازدهار كبير خلال الفترة الحسينية وبالأخص في فترة حمودة باشا حيث نشطت في عهده الصناعات الحرفية خاصة الشاشية[5] .

يعتبر الباي حمودة باشا من بين البايات الذين حاولوا النهوض بالايالة وذلك من خلال الإصلاحات التي قام بها خاصة في المجال الاقتصادي ومن خلاله المجال الصناعي، حيث اهتم حمودة باشا بالصناعة المحلية في وقت أصبحت فيه الصناعات الأوروبية هي سيدة السوق التونسية

1ابن ابي الضياف:المصدر السابق، ص80.

2 الإنفاق : هو مجموع ما يدفعه العمال لصاحبهم سرا – انظر : رشاد الامام: المرجع السابق، ص 266.

3 نفسه ، ص 266 – 276.

4 عبد العزيز الثعالبي: المرجع السابق ، ص 115- 136.

5 دلندة الأرقش: المرجع السابق ، ص 66.

حيث يذكر السنوسي "فحدث إن كسدت سلع الصناعات المحلية وبالتالي راجت السلع الخارجية"[1].

هذا ما جعل الباي حمودة باشا يفكر في رد الاعتبار للصناعة المحلية وكانت البداية منه حين رفض ارتداء الطيلسان وهو وشاح يوضع على الكتفين، المستورد وأمر أن يأتوا له بطيلسان من إنتاج محلي، وكان بمناسبة أداء صلاة عيد الفطر، ولما رأى رجال دولته ذلك حذوا حذوه وتخلو عن الطيلسان المصنوع من الكشمير حيث قال حمودة باشا " هو عندي افخر من الكشمير المجلوب ، لان ثمنه لم يخرج من البلاد "[2].

لم تمر فترة طويلة حتى أصبح كل التونسيين يلبسون الطيلسان المحلي وهذا ما حفزه على الاعتناء بالحرف والحرفيين، وتشجيعا للصناعة المحلية أصبح الباي يتباهى بكل ما هو محلي وأصبح لا يلبس إلا من المنسوجات المحلية المنتجة في مدينة سوسة والحمامات وجربه والجريد سواء كان النسيج من الحرير أو الصوف [3].

كما حصر الباي الهدايا التي كان يبعث بها إلى الدولة العثمانية والدول الأوروبية في الصناعة المحلية التونسية، وضمان جودة المنتوج التونسي كان يحرص على جودة المواد الأولية حيث قام بإبرام عدة معاهدات مع الدول الأوروبية للحصول على أفخم المواد ومن بين هذه المعاهدات التي عقدها مع اسبانيا لاستيراد الصوف الرفيع لصناعة الشاشية [4].

هذه الصناعة التي تواجدت منذ العهد الحفصي، وكان الداي عثمان هو من حاول الاستفادة من الجالية الأندلسية في تطوير الصناعة المحلية والشاشية خاصة، حيث أصبحت هذه الصناعة أهم صناعة تتميز بها البلاد التونسية، حيث أصبحت تصدر إلى كامل أرجاء الدولة العثمانية لجمال شكلها ولونها فلم تعد تنافسها تلك التي تصنع في فرنسا .

كما كانت تونس تتميز بصناعة الأقمشة والملابس، إضافة إلى صناعات أخرى مثل:

3ابي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي :مسامرات الظريف بحسن التعريف ج 3 ، ط1، تحقيق وتعليق محمد الشاذلي النفير، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 ، ص 121.

2 ابن ابي الضياف: المصدر السابق، ص 90.

3 نفسه.

4 نفسه، ص 92.

1-صناعة الحرير :

عرفت هذه الصناعة في تونس رواجا كبيرا فكان لهذه الصناعة عارفون بها،كانوا يقومون بصناعة مناديل من الحرير تزين بالفضة تغطي به المرأة التونسية رأسها، كما كانت تصنع منه أحزمة واعجرة تتحجب بها المرأة [1].

2-صناعة النسيج:

كان في تونس أماكن مخصصة لصناعة النسيج، وهي سوسة، الحمامات، الجريد و جربه. ويذكر انه كان يصنع فيها نسيج الصوف والحرير[2]، وكان هذا النسيج شديد البياض، كما كانت ورشات النسيج منتشرة في اغلب أحياء تونس، وكانت هذه الورشات تنتج نسيج عالي الجودة ومتقن، وأصبحت الصناعة التونسية تقارن بالصناعات الأوروبية .

فمدينة جربه مثلا تميزت بصناعة أو نسيج الشالات التي كانت تضعها المرأة على رأسها حيث لاقت هذه الصناعة رواجا كبيرا في تونس وشمال افريقية لدقتها وإتقانها فأصبحت المدينة ميسورة العيش لجنيها أرباحا كبيرة من هذه الصناعة [3] .

إضافة إلى هذا برع سكان مدينة جربه في صنع أفخم المنسوجات الصوفية مثل البرانيس [4] والبطانيات واشتركت في هذه الصناعة مع مدينة توزر [5].

3- صناعة العطور :

عرفت هذه الصناعة رواجا كبيرا في تونس[6]، حيث كانت تتميز تونس بكثرة الأشجار المزهرة المزهرة ذات النوعية الجيدة خاصة أشجار البرتقال والورود التي كانت تحضى بها تونس، حيث أن

---

1 محمد بن عثمان الحشائشي: العادات والتقاليد التونسية، ط1، تحقيق: الجيلالي بن الحاج يحي، دار سراس للنشر، تونس 1994 ص 108.

2 ابن أبي الضياف: المصدر السابق،ج 3، ص 101.

3 رزيقة حمدي: المرجع السابق ، ص 93.

4البرانيس:جمع برنس، وهو عبارة عن معطف طويل من الصوف يضم غطاء الرأس ليس له أكمام ينتشر استعماله في المغرب العربي، وقد أطلق ابن خلدون على البربر تسمية " أصحاب البرانس، يكون لونه في الغالب ابيض أو اسودا أو بني ، -انظر : عبد الرحمان بن عبد العزيز المانع ، معجم الكلمات الشعبية المستعملة في نجد ، ط 1 ، ددن،دب، دسن، ص 129.

5 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 275.

6 رزيقة حمدي: المرجع السابق، ص 93.

زهر البرتقال التونسي قد فاقت رائحته رائحة زهور برتقال مالطا الشهير ووردها لا تقل عن تلك التي تجلب من الهند [1].

استطاعت تونس أن تستغل تلك الورود والأزهار في صناعة عطور لا تقل جودة عن تلك التي تنتج في الخارج، وقد تمكنت تونس من تصدير كميات كبيرة من العطور.

لقد عرفت العطور التونسية بجودتها العالية خاصة تلك التي تصنع من الورد الأبيض حيث أن هذا الورد كان مستغل من قبل الحرفيين بشكل كبير كما انه من ارخص العطور مقارنة بأسعاره في بلدان أخرى، حيث يصل سعره إلى 10اضعاف ما هو عليه في تونس[2].

4- صناعة زيت الزيتون :

تعتبر تونس من أهم الدول المنتجة لزيت الزيتون وذلك لوفرة أشجار الزيتون بها، وتعتبر صناعة زيت الزيتون مهمة في تونس لأنها مادة مهمة وأساسية لصناعة الصابون، هذا ما جعل الطلب على زيت الزيتون يزداد وبذلك تزداد صناعة أشجار الزيتون، وزيادة أسعاره مما جعله مصدر دخل مهم لتونس [3].

5-صناعة الشاشية :

الشاشية من الصناعات النسيجية المهمة، تشتغل بها أعداد كبيرة من الحرفيين بلغ عددهم في القرن الثامن عشر حوالي 18000حرفي وأصبحت الشاشية التونسية تتمتع بشهرة كبيرة، تمر صناعة الشاشية بعدة مراحل تبدأ من المنزل حيث يقوم النساء بعملية الحياكة .

أما بالنسبة للمواد الأولية فكانت تستورد من أوروبا واسبانيا بالخصوص، رغم أن تونس كانت تتوفر على الصوف لكن جودته لم تكن جيدة لصناعة الشاشية وفي كثير من الأحيان يضطر الحرفيون للاقتراض من التجار الفرنسيين وقدرت قيمة القرض 1000ريال لكل ورشة، والتي عددها300 ورشة[4].

---

1 رشاد الإمام: المرجع السابق، 276.

2 رزيقة حمدي : المرجع السابق ، ص 93.

3 ياسين صنديد : الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا 1705-1782 ، مذكرة ماجستير، إشراف إبراهيم سعيود، السنة الجامعية 2012-2013 ، جامعة غرداية ،ص 133.

4 نفسه.

لقد لقيت الشاشية التونسية منافسة من قبل الشاشية المصنوعة في الورشات الفرنسية لكن هذا لم يؤثر على جودة الشاشية التونسية [1].

6- صناعة الحلي :

نشطت صناعة الحلي في عهد حمودة باشا خاصة ترصيع الحلي بالأحجار الكريمة غيران صناعة الحلي الفضية كانت بيد التجار اليهود ، وقد اشتهرت في تلك الفترة عدة مصنوعات مطرزة بالذهب والفضة كالسروج والأغماد [2].

ويذكر ابن أبي الضياف أن حسين باي الثاني أعطى سكينا مرصع الغمد و القبضة كان قد صنع لحمودة باشا بتونس [3].

7- الصناعة الحربية:

اهتم حمودة باشا بالصناعة الحربية اهتماما بالغا ، والدليل على ذلك إنشائه لثلاثة مصانع حربية، اعتبرت أعظم الانجازات العسكرية في تونس، وهذه مصانع شيدت للدفاع عن الايالة ومواجهة حكام الجزائر[4]، وانتهج لذلك حمودة باشا سياسة التقشف لانجاز هذه المنشات العسكرية من معامل ومصانع التي تقوم صناعة العتاد الحربي المتمثل في :

أ صناعة البارود :

لقد وجد مصنع لصناعة البارود في الفترة التي سبقت فترة ولاية حمودة باشا إلا أن المصنع لم يلبي حاجيات تونس في عهد حمودة لذا قرر تشييد مصانع أخرى والذي شجع حمودة على هذا هو توفر ملح البارود بشكل كبير في عدة مناطق تونسية [5].

أسس الباي في تونس العاصمة سنة 1787م مصنعا كان يديره خبراء فرنسيين، وكان ينتج باردا جيدا، وبعد ثلاث سنوات من العمل أصبح ذلك المصنع ينتج كمية لا تقل عن مائتي

1ياسين صنديد: المرجع السابق، ص 137.

2 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 276.

3 ابن أبي الضياف : المصدر السابق ج 3 ، ص 108.

4 الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص136.

5 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 215.

قنطار سنويا، واستمر هذا المصنع في إنتاجه بعد حمودة باشا إلى غاية 1825م، أصبح كامتياز صناعي تحصل عليه احد الفرنسيين وقام باحتكاره[1].

ب–صناعة المدافع والقذائف :

انشأ حمودة باشا مصنعا يشتمل على عدة معامل لصناعة المدافع والقذائف وهي تحتوي خاصة على معمل تذويب النحاس والحديد وأخر لصناعة القذائف .

أما مصنع التذويب الذي خصص لصنع المدافع أطلق عليه ابن أبي الضياف اسم دار عمل المدافع[2]، فقد شيد منذ أوائل عهد حمودة، وقد اعتنى بذلك المصنع غاية الاعتناء حتى انه كان يزوره مرارا تحفيزا للعمال وتنشيطا لهم وقد عين عليهم شاهد الحفصية [3].

أما فيما يتعلق بصناعة القذائف المدفعية فقد أقام حمودة باشا معملا خاصا لذلك الفرض سنة 1795 وكان هذا المعمل عبارة عن فرن لتذويب وصب القذائف .

ج– صناعة السفن الحربية :

كان الاهتمام بصناعة السفن الحربية قبيل مجيء حمودة باشا إلى الحكم والدليل على ذلك هو انه وفي سنة 1724م، وجدت دار صناعة السفن التونسية في منطقة غار الملح[4] لكنها قليلة التجهيز، وفي عهد حمودة باشا حيث انشأ في حلق الوادي قرب العاصمة، دارا الصناعة وميناء حديثين وقام بنقل جميع معدات هذا المصنع إلى حلق الوادي، وكان إنتاج هذا المصنع قد انعكس إيجابا على قوة الأسطول التونسي، وكانت فرنسا تتلقى طلبات تونس لتوفير المواد والآلات اللازمة لبناء السفن في حلق الوادي، وقد تعددت طلبات تونس وتنوعت، وشملت لوازم وآلات وكميات من الأخشاب لصناعة السفن والآلات الضخمة الخاصة بتقويم السفن وإرسائها وهذه التجهيزات زادت من قدرة المصنع على الإنتاج وقوة إمكانيات تونس البحرية، والجدير بالذكر أن حمودة باشا استعان بخبراء أجانب لصناعة السفن خاصة الفرنسيين، كما كانت هذه الدار تقوم بإصلاح

---

1 ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج3 ، ص 215.

2نفسه، ص 165.

3 شاهد الحفصية: هو من أعيان تونس وعلمائها، وهو المسئول عن ذلك المصنع – انظر: رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 217.

4 غار الملح: هو مكان يطل على البحر الأبيض المتوسط، مشهور بميناءه الممتاز. –انظر: رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 220.

السفن الأوروبية التي تتعطل في البحار القريبة، كما وجدت أيضا دار لصناعة السفن في بنزرت إلا أن المصادر والمراجع لم تتناولها بل أشارت إليها فقط [1]

3-النشاط التجاري:

تعتبر التجارة من أهم فروع النشاط الاقتصادي، وقد كان لها دور كبير في تطور اقتصاد ايالة تونس بفرعيها الداخلي والخارجي .

فهنا نتساءل كيف كانت التجارة الداخلية والخارجية عهد حمودة باشا؟

أ التجارة الداخلية:

من مظاهر سياسة حمودة باشا في الداخل تنشيط التجارة الداخلية في تونس وقد اتبع في ذلك وسائل عديدة نتج عنها انتعاش تجاري للتجارة الخارجية على حد السواء، ولهذا منع التجار الأجانب شراء المحاصيل الزراعية إلا إذا تم بواسطة تجار تونسيين وكان هذا لسببين هما:

– ضمان الربح للتجار المحليين على صفقة من ناحية ومن ناحية أخرى محاولة حماية الفلاح.

-التحقق من الذي كان يحصل للمحصول عندما يبيع كل المحصول هاو جزء منه وقت الحصاد بأثمان بخسة، ولان التجار اليهود القاطنون بتونس يعتبرون تونسيين فقد تمتعوا بقسط من هذا الأجر، حيث كانت لهم امتيازات خاصة في التجارة مع الخارج.

إلى جانب ذلك نشط الباي التجارة الداخلية التي تتم عن طريق القوافل التجارية التي كانت في البلاد جنوبا وشمالا وكان لها فضل في رواج البضاعة وتنشيط التجارة وكذلك بناء قنطرة طريق بنزرت التي ربطت المناطق التي تزرع فيها الحبوب بشمال البلاد بالعاصمة [2]، ومن مظاهر اهتمام حمودة باشا بتنشيط التجارة الداخلية بناءه لسوق تجارية بتونس يطلق عليها سوق الباي [3]هي من أحسن أسواق الباي، أمر حمودة باشا سنة 1782م ببناء سوق أخرى تقرب سوق الشواشين الذي يحتوي على سوقين، السوق الصغير والكبير وقد كانت جماعة حرفيين الشاشية من ابرز الجماعات التي كانت تجني أرباحا في تلك السوق، وهناك سوق أخرى قام بتشييدها لكن بني من طرف وزيره

1امام الرشاد:المرجع السابق ، ص 220-224.

2نفسه ، ص 277-279.

3سوق الباي:هو سوق تم تشييده في عهد حمودة باشا في 1781 يباع في هذا السوق السجاد والأقمشة الحريرية،كما تباع فيه أيضا الأقمشة الصوفية،كان السوق قريب من دار الباي ويعتبر من أسواق الايالة –انظر:رزيقة حمدي،المرجع السابق، ص 99.

يوسف صاحب الطابع سنة 1813م تعرف بالسوق الجديد كانت فيه العديد من الأنشطة التجارية[1].

وقد صب حمودة باشا اهتمامه على الأسواق القديمة حيث أمر بتنظيمها وإزالة الفوضى منها وفي مقدمتها، إزالة الدكاكين التي كان يبنيها التجار أمام حوانيتهم، والتي تعيق الحركة العامة في الأسواق، وقد اصدر الباي في شان ذلك قرار مضمونه أن كل من يتأخر عن إزالة دكانه يعاقب، والهدف من ذلك هو تسهيل المرور في الشوارع التجارية.

كانت الأسواق في عهد حمودة باشا كمثيلتها في العهود السابقة تخضع لنظام خاص بها، وهو عبارة عن تجمعات حسب الاختصاص في الحرف[2]، و كان على رأس المساعدين والمتمرنين في كل حرفة معلم وعلى رأس كل حرفة أمين يراقب جودة الصنع ويفصل في النزاعات التي تكون بين المعلم وعمال الحرفة الواحدة، وما تجدر الإشارة إليه هو انه كان في عهد حمودة باشا أسواق تختص في بيع الغنم و الخيول وتعرف بالمرقاد [3].

كما نجد في الأسواق المحتسب الذي لعب دورا بارزا منذ العهود الإسلامية حيث كان يشرف على مراقبة الحرفيين والمكاييل والأسعار لكن خدمة المحتسب في العهد العثماني تقلصت إذ أصبح يشرف على حرفة معينة ذات صلة بالغذاء مثل الفرانين والخبازين والخضارين، حيث يقوم بجولات في الأسواق يرافقه عاملي الموازين والجلادين لمراقبة نوعية المنتجات وأسعارها وهذا كله من اجل محاربة وقمع الغش في السلع والمكاييل .

وكل هذه الإصلاحات عادت بالفائض على نظام الأسواق، حيث توسعت فأصبحت من أجور الأسواق، كما حظي القطاع التجاري هو الأخر باهتمام لا يقل أهمية عن القطاعات الأخرى، فقد كان للإصلاحات التي قام بها الباي على المستوى المحلي صدى كبير على مستوى التجارة الخارجية خاصة من خلال نشاط حركة الموانئ والسفن والجهاد البحري [4].

- **دور اليهود في التجارة الداخلية :**

1 رزيقة حمدي،المرجع السابق ص 99 .

2 نفسه.

3 المرقاد:هي اسواق مختصة ببيع الخيول . انظر: نفسه.

4 نفسه، ص 100.

لقد قام حمودة باشا بإصلاحات هدفها تقويم القطاع التجاري وفرض مجموعة من التنظيمات، استفاد من نتائجها التجار المحليون من مسلمين ويهود على حد سواء، هذه القرارات أبرزت اهتمام السلطة برعاياها اليهود سواء القادمين من ليفورنه[1] أو الذين قدموا من بلدان أوروبية أخرى وهذه القرارات تمثلت فيما يلي :

أ-دفع التجار اليهود إلى خصص:

اصدر حمودة باشا في نهاية سنة 1788م امرأ موجها إلى تجار الأقمشة من اليهود يحدد مشترياتهم ومبيعاتهم في جميع ما يكال بالذراع ويوزن بالميزان من حرير وغيره ولا يسمح له ببيع ما هو مخيط، وهذا لا يمثل أي شكل من أشكال التضييق على نشاطهم أو التمييز ضدهم، وهذا الأمر العلي لم يشمل كل التجار اليهود، بل صدر لفئة معينة منهم، وهي الفئة التي ركزت تجارتها على بيع وشراء الأقمشة والحرير مثل الحواشي والبرنشيك[2]، وهو ميدان شاسع وتجاوزته إلى احتكار توابعه المتصلة خاصة بالألبسة الجاهزة، بما احتوت عليه من أنواع وأصناف متعددة مثل القمجة والبدعية[3].

وفي هذا الاحتكار مزاحمة لأنشطة وأرزاق تجار هذه البضائع، ولا تخلو أبعاد هذا القرار من فتح أفاق أمام تجار آخرين لحثهم على ممارسة هذا النشاط ، كما لا تخلو من دفع بعض الفئات إلى التخصص في ميدان معين بحكم أن نشاطهم التجاري لم يكن مهيكلا لاتصاله بكل ما يوجد في الأسواق من بضائع خاصة للبيع والشراء وهذا نسق كل اقتصاد[4] حرفي تقليدي يخضع لقوانين عرفية تفرض التخصص في نوع من الإنتاج والتسويق وحتى في المجال الحضري مثلما هو الشأن داخل الطوائف الحرفية وفي هذه الظرفية أنشا حمودة باشا سوق الباي الذي خصصه لبيع جميع أنواع الأقمشة المحلية والأجنبية دون سواها من البضائع، وعهد به إلى تجار الأقمشة من اليهود

---

1 ليفورنو:هي مدينة تقع شمال غربي ايطاليا ، تطل على البحر الأبيض المتوسط، تقطن بها فئة من اليهود هاجرت من شبه الجزيرة الابيرية. –انظر رضا بن رجب، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2010، ص 94.

2 الحواشي والبرنشيك:هي من أنواع الحرير يدخل في صناعة العديد من الأقمشة وخياطة الملابس –انظر: رضا بن رجب، المرجع السابق، ص 413.

3 القمجة والبدعية : هي أنواع من الألبسة – انظر : نفسه ، ص 414.

4 نفسه : ص 413،

لتوظيف نشاطهم في دكاكينه ويعد هذا السوق من أحسن الأسواق معمارا بالبلاد كما أن موقعه الجغرافي في الفضاء المدني والمحاذي لأهم المؤسسات المخزنية، على أن قرار حمودة دليل إضافي على تشجيعه للتجار اليهود باعتباره أول المستفيدين من تجارتهم [1].

ب-حماية التجار اليهود:

شملت حماية حمودة باشا التجار اليهود، فإصداره لقرارات تحمي أرواحهم وأموالهم باعتبارهم من رعاياه، هو اعتراف منه بدورهم الهام في تنشيط اقتصاد الايالة .

كان النشاط التجاري لبعض الباعة المتجولين نساء ورجال يحتم عليهم الدخول إلى المنازل لعرض بضاعتهم، لكن في كثير من الأحيان يكون دخول دون خروج إذ يقع اغتيالهم، فتندثر البضاعة.

وتفاديا لهذه المآسي التي تكررت مرات دون العثور على الجناة، أجبرت هذه الفئة من التجار على الترافق ضمن جماعات كل واحدة تضم تاجرين، واحد يعرض البضاعة بالداخل والأخر يراقب في الخارج.[2]

إضافة إلى هذا كان اليهود مشرفين على لازمة دار الجلد[3] كانوا موقفين في هذه المهمة، حيث كان اليهود مشرفين على تصدير منتجات دار الجلد وجمع الجلد والتفاوض في أسعاره لقربهم من المجتمع المحلي واتصالهم بها كثر [4].

- **التجارة الخارجية:**

يقصد بالتجارة الخارجية عملية التبادل التجاري في السلع والخدمات وغيرها من عناصر الإنتاج المختلفة بين عدة دول بهدف تحقيق منافع متبادلة الأطراف المتبادل.

تمثلت تجارة تونس الخارجية في تصدير واستيراد بعض السلع، وقد احتكر البايات وأعضاء الديوان هذه التجارة لاستفادتهم الكبيرة منها،كما كان الوسطاء التجاريون يلعبون دورا كبيرا في

---

1 رضا بن رجب، المرجع السابق، ص413.

2نفسه.

3 لازمة دار الجلد: هي بمثابة زكاة البقر حيث تقوم الدولة بأخذ جلد البقر من الجزارين ويتم دبغ الجلد ويباع لأهل صناعته بالمزايدة ويباع منه ما زاد عن احتياج الايالة لخارجها –انظر:ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج4، ص 55.

4 رضا بن رجب: المرجع السابق، ص179-180.

رفع أسعار البضاعة التونسية الموجهة للاستيراد بسبب احتكارهم لها ومن ابرز الصادرات التونسية في القرن 18.

أ-الصادرات:

1-القمح: هو أول مادة موجهة للتصدير وكانت الوجهة الدول الأوروبية، حيث كانت تصديره تونس بشكل كبير ، فهو محرك التجارة التونسية ، ففي القرن 18 م شكل القمح وحده حوالي 90بمئة من صادرات الحبوب في تونس [1].

2-الزيوت:

تعتبر الزيوت أيضا من بين أهم المواد المصدرة وأكثرها تصديرا زيت الزيتون لوفرة أشجاره، كما تعتبر تونس من أهم الدول المصدرة للزيت الزيتون، وكان مع مرور الوقت يتضاعف الطلب عليه، لاستخدامه في صناعة الصابون.

3- الشمع:

يعتبر الشمع أيضا من بين المواد المصدرة من تونس نحو أوروبا[2]، إضافة إلى التمور وبعض المواد الغذائية، وكذلك بعض المواد المصنعة كالأواني النحاسية والعطور، والصناعات الجلدية والنسيجية، وخاصة صناعة الشاشية التي أصبحت تسوق في كامل أرجاء الدولة العثمانية[3] .

ب-الواردات:

تونس كأي دولة تصدر وتستورد منتجات متنوعة، ومن بين أهم الواردات إلى تونس:

-الأقمشة:

وذلك لرداءة المنتوج المحلي مقارنة بما يستورد خاصة الأقمشة الفرنسية[4]. وأكثر الأنواع المستعملة نوعين:

-النوع الأول: يسمى لوندرن le londrins ويمثل ثلثي الاستهلاك .

1 ياسين صنديد: المرجع السابق، ص 129.

2ياسين صنديد: المرجع السابق، ص 134.

3 كوثر العايب: المرجع السابق ، ص 24.

4 ياسين صنديد: المرجع السابق، ص 138.

-النوع الثاني:يسمى ماحوت mahout يمثل ثلث الاستهلاك .

ومن حيث السعر الأول أغلى من الثاني[1].

-المواد الأولية الموجهة للصناعة المحلية :

كانت تونس بحاجة لاستيراد المواد الأولية وذلك لرداءة المواد المحلية، ومن بين هذه المواد الصوف الاسباني الذي يتميز بنعومته الملائمة لصناعة الشواشي .

-المواد الغذائية :

معظم هذه المواد لم يكن استهلاكها منتشرا في تونس من قبل مثل القهوة حيث عرفت مع نهاية القرن 18 م، ارتفاعا محسوسا في استهلاكها وكذا السكر والتوابل والخردوات [2].

-دور اليهود في التجارة الخارجية :

كان حمودة باشا يعمل على النهوض باقتصاد البلاد، وأدرك بان ذلك لن يكون إلا بالاهتمام بالتجار ودعمهم .

فبدأ بإرساء سياسته المتضمنة مجموعة من القرارات أهمها تلك التي ترمي إلى تقويم القطاع التجاري وفرض تنظيمه.

ومن ابرز تلك القرارات خفض الرسوم الجمركية على البضائع التي يوردها التجار المحليين من أوروبا خاصة اليهود بحكم تعاملهم مع الموانئ الأوروبية.

لقد شهد النشاط الاقتصادي للتجار اليهود في عهد حمودة باشا ازدهارا كبيرا حيث بلغت استثمارات الطائفة ما قيمته 169.703 ريال في 219 عملية شحن وكان هناك تفاوت بين تجار الطائفة ، فالنشاط التجاري لليهود التوانسة كان اكبر من نشاط القرانة .

ففي احد عمليات التصدير تم مشاركة 51 تاجرا من اليهود التوانسة مقارنة ب 19 تاجرا من القرانة، مما جعل طائفة اليهود المحليين تعوض طائفة اليهود القرانة في الموانئ [3].

1ياسين صنديد: المرجع السابق، ص 138.

2نفسه، ص 140.

3 رضا بن رجب: المرجع السابق، ص 426.

هذا التراجع كان نتيجة توتر علاقة اليهود القرانة بالسلطة،حيث تغيرت سياسة حمودة باشا اتجاههم من التشجيع والدعم إلى التصدي لهم وذلك حتى لا يتمكنوا من تحقيق ما يصبون إليه وهو دعم القوى الأوروبية [1].

إن تصدي حمودة باشا لليهود القرنية سمح لبعض العائلات اليهودية أن تستثمر في مجال الاستيراد، ومن بين هذه العائلات عائلة ناطاف، شمام، بسيس، هذه الأخيرة استثمرت في استيراد الأقمشة وبالتالي سيطرة على الأسواق الداخلية للايالة[2].

من هنا نلاحظ أن حمودة باشا باتخاذه لهذه القرارات غير من ملامح التجارة الخارجية لتونس حيث استفاد من هذه التغيرات كل من التجار المحليين المسلمين واليهود، ببروز بعض العائلات التي أشرفت على قطاعي التصدير والاستيراد [3].

-العملة:

عرفت تونس خلال القرن 18 تداول عدد من العملات منها محلية ومنها أجنبية، ومن بين هذه العملات نذكر:

1-العملة الذهبية :

كانت تعرف هذه العملة بالسلطاني واشتق اسمها من السلطان العثماني، شكلها دائري كانت تزن 3.5 غ من الذهب في القرن 18 م، وكانت قليلة التداول بسبب المادة التي صنعت منها، كانت مستعملة بكثرة في المشرق العربي[4].

1 رضا بن رجب: المرجع السابق، ص 426.

2 نفسه.

3 نفسه، ص 429.

4 مليكة الشيخ : العلاقات السياسية بين تونس وفرنسا خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف عمار بن خروف ، جامعة غرداية ، السنة الجامعية 2011-2012 ، ص 183.

2-العملة الفضية:

-الريال: وهو عملة اسبانية ، يقدر وزنها ب 15 غ من الفضة ، ثم انخفض إلى 11غ ونصف ما يعادل 62سنتيم وربع من العملة الفرنسية،والريال الفضي الواحد يعادل52ناصري[1] ومن أهم تقسيماته الخروبة في عهد مصطفى خان 1774م[2] .

-الناصري : ويعرف بالريال التونسي ، كان يستخدم في المعاملات اليومية وفي دفع اللزم مع المؤسسات التجارية الفرنسية[3]

3-العملة النحاسية:

تمثلت في الفلس ، والفلس الرقيق ، اشتق اسمه من كلمة فوليس وهو عملة بيزنطية ، شكلها دائري، أطلق عليها التجار الأوروبيون اسم بورب bourbe بالنسبة للفلس وبوربين bourbine بالنسبة للفلس الرقيق، تصنع من النحاس المستورد، وكانت قيمتها منخفضة، لكنها كانت واسعة الاستعمال في المبادلات الداخلية خاصة شراء المنتجات الاستهلاكية[4]

4-العملة الأجنبية:

تعددت هذه العملات في تونس، وذلك بسبب استعمالها من طرف الشركات الفرنسية ومن أهمها :

أ-الريال الاسباني :

هو العملة الأغلى تصنيفا، وكان يصنع من المعادن الثمينة القادمة من أمريكا، وقد ساهم في انتشارها وجود معامل متخصصة بمرسيليا وجنوه وبيزا ، وتزود من بلاد المغرب.[5]

ب-السوكان البندقي :

كانت هذه العملة متداولة طيلة القرن 18م وحتى القرن 19م خاصة لدى الحجاج[6] .

---

[1] Henri Hugon : Les emblémes des bey de tunis, Emert Leroux, éditeur rue, bonapart, paris ;1913,p16

[2] Louis Frank : op, cit, p217

3 نفسه،185

4 ياسين صنديد: المرجع السابق، ص150

5 ياسين صنديد:المرجع السابق، ص151.

6 انظر: الملاحق،ص.

أما العملات الفرنسية فكانت نادرة الاستعمال في تونس [1]

مما سبق نستنتج:

يعود تنوع المحاصيل الزراعية في الايالة التونسية خلال فترة حكم حمودة باشا إلى المناخ المعتدل وتنوع التضاريس من جبال وسهول وهضاب وغيرها .

كما قام حمودة باشا بعدة إصلاحات مست الجانب الفلاحي وكان لها تأثير ايجابي على اقتصاد الايالة التونسية، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحنكة السياسية والاقتصادية التي يتمتع بها حمودة باشا .

اهتم حمودة باشا بالجانب الصناعي حيث تنوعت الصناعات في عهده والسبب في ذلك يعود إلى توفر المواد الأولية من أخشاب وغيرها ، هذه الأخيرة كان لها دور في صناعة السفن خاصة الحربية إلى جانب توفر الصوف وغيرها من المواد الأخرى .

عمل حمودة باشا على تنشيط التجارة الداخلية والخارجية وذلك عن طريق الاسواق التي قام بتشييدها، كما قام بعدة اصلاحات لتحسين هذا المجال، وقد استفادت من هذه الاصلاحات طائفة اليهود التي كان لها اثر على التجارة في الايالة التونسية الى جانب العملة التي تنوعت حسب المعادن التي صنعت منها .

1ياسين صنديد:المرجع السابق، ص151.

المبحث الثالث.

العلاقات التجارية التونسية خلال عهد حمودة باشا.

1-العلاقات التجارية بين تونس ودول الجوار :

2-العلاقات التجارية بين تونس ودول أخرى:

3-العلاقات التجارية بين تونس والدول الأوروبية :

المبحث الثالث:العلاقات التجارية التونسية خلال عهد حمودة باشا.

لقد أقامت تونس خلال القرن 18م مجموعة من العلاقات الاقتصادية مع العديد من الدول حيث كانت تصدر وتستورد من هذه الدول مجموعة من المنتجات وفقا لاحتياجات كل من الطرفين.

1-العلاقات التجارية بين تونس ودول الجوار:

أ-مع الجزائر:

لقد جمعت الجزائر وتونس علاقات اقتصادية وتجارية منذ زمن طويل، فكما نعلم انه بعد ضم تونس للدولة العثمانية أصبحت خاضعة للجزائر وكان الحكام الجزائريون يرون تونس إقليم تابع لها، لهذا عملت على إبقائها تحت سلطتها، ووجهت لها حملة عسكرية في عام 1756م، كان الغرض منها مسايرة الحكام التونسيين للزعامة الجزائرية[1].

كان حكام تونس يبعثون مركبات محملة بالزيت وبعض الهدايا، المتمثلة في رحيق الورد والشاشية والملابس الحريرية، هنا حاول حمودة باشا استغلال المشاكل الداخلية ليتملص من الإتاوة التي كانت تدفعها تونس للجزائر وبعد أن طلب الداي إرسال الإتاوة المعهودة، ولم يجد استجابة من تونس، أمر باي قسنطينة بتجهيز حملة للقيام بعمليات في أراضيها وتنفيذا للأمر أرسل الباي قواته التي استولت على قطعان معتبرة من الماشية، إضافة إلى هذا استولت السفن الجزائرية على مركبتين أو ثلاثة من المراكب التونسية، وكان الهدف من هذه العمليات تعويض الإتاوة التي رفض الباي إرسالها[2].

---

1 احمد الشريف الزهار: مذكرات احمد الشريف الزهار، تقديم وتحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 96.

2صليحة جبار: الجزائر في عهد الدي علي باشا 1754- 1766م، رسالة ماجستير، إشراف عائشة غطاس، جامعة الجزائر، 2010-2011م ، ص88.

كما أن أكثر المبادلات التجارية التي كانت بين تونس والجزائر كانت عبر الواحات الجزائرية التونسية الواقعة في منطقة الجريد، كما كانت القوافل ترحل يوميا من قسنطينة والواحات الجزائرية، مثل وادي سوف[1]، وتقرت وورقلة، متجهة إلى المدن التونسية مثل نفطة[2]ومدينة تونس وغيرها [3].

وكانت المواد المصدرة من الجزائر إلى تونس تتمثل في الأقمشة الصوفية من النوع العادي، والتمور الممتازة من وادي سوف، ونبات القوة المعروف بعروق الصباغين، القادم من تقرت الذي يستعمل في الصناغة والأدوية، أما المواد التي كانت تصدرها تونس إلى الجزائر فهي العطور والأقمشة الحريرية والشالات والقطنيات الأوروبية والحياك المنسوجة في منطقة الجريد والأسلحة والكبريت [4].

كانت ايالة الجزائر خلال القرن 18م تعتمد في اقتصادها بالدرجة الأولى على الزراعة وهذا نظرا لمناخها الممتاز وأراضيها الخصبة والصالحة لكل أنواع الزراعة ومن أشهر المحاصيل الزراعية الموجودة في الجزائر، هي القمح وزراعة الأرز وكانت تتمركز بضواحي الجزائر ومليانة والتبغ وكان هذا المحصول يصدر بكثرة إلى ايالة تونس، إضافة إلى هذا وجدت مساحات خاصة لزراعة الفواكه وابرز أنواع الفواكه الكروم والحمضيات، هذه الأخيرة كانت توجد في غرب ايالة الجزائر إلى جانب هذا اهتم سكان المنطقة بزراعة الكتان في مناطق مختلفة واستعملت هذه المادة في صنع الهدايا وانتشرت أيضا زراعة القطن وتربية ديدان الحرير، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على اهتمام حكام الجزائر بالقطاع الفلاحي فحاولوا تطويره عن طريق توفير الوسائل اللازمة للمزارعين، فقاموا بمد قنوات الري وغيرها، هذا ما ساعد في ربط علاقات تجارية مع تونس هذه الأخيرة قد تدخلت

1واد سوف هي مجموعة من المدن والقرى وسط الكثبان الرملية في الجنوب الشرقي من بايلك قسنطينة ، أهم موارده التمور والتبغ والتجارة – انظر: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 154.

2 نفطه : هي عاصمة بلاد الجريد من مدنها الوديان والحامة معظم سكانها كانوا – انظر: نفسه، ص 155.

3 صليحة جبار: المرجع السابق، 88.

4 ارزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته 1519-1830، أطروحة دكتوراه، إشراف عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 243.

في ازدهار تجارتها عدة عوامل أهمها انتشار الموانئ على طول الشريط الساحلي كميناء قابس وميناء صفاقس وطبرقة، وميناء تونس وهذا الأخير كان أهم ميناء في الايالة لأنه موجود في العاصمة .

لقد تشابهت الحرف التي مارسها سكان ايالتي تونس والجزائر مثل صناعة النحاس وصناعة الجلد السروج، كما كان قبائل جنوب الايالتين تنتج الملح والصوف والحرير والحديد والسروج والأقمشة و التمور والنحاس والقطن وغيرها [1].

كانت التجارة بين الايالتين تتم عن طريق القوافل تسيرها وتحميها قبائل متخصصة أشهرها قبائل التوارق والخنافسة والشعانبة[2]، ويعتبر نظام القوافل من بين اقدم واشتهر الوسائل في نقل البضائع لمسافات طويلة، ساهمت هذه القوافل في تنمية العلاقات وازدهارها في مرحلة ما، ومن اهم الطرق التجارية بين الجزائر وتونس:

أ–الطريق العرضاني الأوسط: هو طريق يصل إلى قفصه [3] مرورا بالبيض و الأغواط وبسكرة

ب– الطريق العرضاني الاوسط: من فاس إلى تونس مرورا بوجدة وتلمسان ووهران والجزائر وقسنطينة والكاف.

ج– الطريق العرضاني الجنوبي: ينطلق من تافيلالت إلى نفطة مرور بواحات الجزائر .

د–الطريق العرضاني الشرقي: يربط بين وادي ميزاب وتونس مرورا بالاغواط وبوسعادة وقسنطينة والكاف .

هـ–طريق وادي سوف: الذي يلتحم بالطريق العرضاني الجنوبي في مكان يسمى بئر الجريد [4] ومن هنا ينطلق إلى غدامس حيث تتجمع القوافل المتجهة إلى الجنوب .

---

1 صورية حصام: العلاقات بين ايالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عبد المجيد بن نعيمة، جامعة وهران،2012م . 2013، ص 137-138.

2 قبائل التوارق والشعانبة والحنافسة: هي قبائل جزائرية تقع جنوب قسنطينة – انظر: محمد العربي الزبيري ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1985، ص 110.

3 قفصه: تقع في أبواب الجنوب التونسي وقد اعتبرت مركزا تجاريا هاما – انظر: محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 154.

4 بئر الجريد: قرية صغيرة على الحدود التونسية تلتقي فيها قوافل نفطه وتقرت متجهة إلى غدامس – انظر : نفسه ، ص 156.

كانت المبادلات تتم وتجري بطريقة بدائية قريبة جدا من المقايضة، فقد كان التجار الجزائريون يحملون من مراكزهم التجارية المواد الغذائية، وبعض مواد الزينة ثم يعودون من رحلاتهم المختلفة، ومعهم منتجات متعددة جلها من الكماليات ليس لها علاقة بوسائل الإنتاج المحلية، الشيء الايجابي في هذا النوع من التجارة البرية[1]، وخاصة مع ايالة تونس وفرة المواصلات التي تسهل على التجار اخذ سلعهم وعرضها يوميا عن طريق القوافل، وذلك يعود لقرب المسافة وهذه السهولة تتوفر في أيام السلم بين ايالة تونس والجزائر، أما في فترات الحروب فكانت القوافل معرضة للخطر حيث يتم تجريد التجار من سلعهم وغالبا ما كانت هذه الأحداث سببا في توتر العلاقات السياسية بين الايالتين، ونشوب الحرب، إضافة إلى فترات السلم التي كانت حافزا في السير الايجابي للتجارة مع تونس، وقد اعتبرت هذه أسواق الشرق الجزائري الذي كان يعرف بايلك الشرق، حيث كانت تتوجه إلى تونس عدة قوافل أهمها الآتية من قسنطينة[2].

إن القوافل التي كانت تتوجه من قسنطينة، أو من مناطق أخرى من الجزائر إلى تونس تعتبر ذات أهمية كبيرة بالنسبة للتجارة الخارجية التونسية، كما أن المبادلات التجارية مع الجزائر كانت مربحة خاصة لتونس، وقد وصل الربح في العملية التجارية الواحدة إلى 100الف بياستر[3]، وهذا ما يعادل حوالي 553 فرنك فرنسي واهم المستفيدين من هذه العمليات التجارية هم اليهود [4].

كانت المبادلات التجارية تتم عن طريق الأسواق، و الشرق الجزائري من اقرب الأسواق الخارجية لايالة تونس واهم المراكز التي تنطلق منها القوافل هي مركز قسنطينة، الوادي، تقرت، ورقلة ، الأغواط، وبسكرة، ووجدت أسواق مشهورة في الصحراء الجزائرية مثل سوق منطقة الخير[5].

كانت تلك الأسواق ملتقى التجار المحليين وأيضا تجار تونسيين حيث كان تجار الأغواط يعرضون سلعهم المتمثلة في البرنوس بالونين الأبيض والأسود، والحايك بأنواعه مقابل سلع يجلبها

1صورية حصام: المرجع السابق، ص 144-147.

2 نفسه.

3 البياستر: هي عملة اسبانية انتشرت في ايالة تونس – انظر: نفسه، ص 144.

4 نفسه، ص 148.

5 سوق الخير ك هو سوق يقع في واد الخير وهو واد يوجد في منطقة الأغواط – انظر: نفسه، ص 148.

تجار ايالة تونس المتمثلة في الفؤوس والأحزمة والأسرجة والخيول والتوابل والزيوت والعطور، والسكر والقهوة والمجوهرات والشواشي التونسية المعروفة بجودتها[1].

كان التجار التونسيون يأتون إلى الأغواط مارين بتقرت والمتبقي من مبيعاتهم ينتقلون بها إلى الشمال نحو قسنطينة ثم مدينة الجزائر إضافة إلى هذا يوجد سوق بغرداية يتجمع فيه التجار منهم التونسيين اللذين يعرضون مبيعاتهم المتمثلة في الأغطية القطنية والبرانيس والمجوهرات التي كانت اختصاص اليهود، إضافة إلى سوق أخرى كان يجتمع فيها التجار في منطقة الميزاب ببسكرة أين تأتي القبائل التونسية من نفطة خاصة وهنا كان عرض السلع التونسية مثل الشعير الصوف والزيت وريش النعام و والشواشي والقطع الحريرية والسكر ومن هنا نرى بان التجارة القائمة بين ايالتي تونس والجزائر تزعمها التجار الصحراويون، وهذا باستثناء بايلك قسنطينة الذي هو اقرب الأسواق إلى تونس، إضافة إلى هذه المناطق هناك منطقة أخرى تتم فيها المبادلات التجارية، وهي ورقلة، حيث كان تجارها يفضلون جلب مشترياتهم من ايالة تونس [2]، يذهبون إليها مارين بالطريق الرابط بين منطقة واد سوف وتقرت وكانت مدة الرحلة تستغرق حوالي 20يوما فيشترون من تونس العطور والملابس والأغطية والشواشي والبرانس والمجوهرات والمسامير ومعدن الرصاص حيث كان أجود من الذي يباع في تقرت أو بسكرة، إضافة إلى هذا كانوا يشترون الحمير لعدم تربيتها في ورقلة، لهذا كانت المواصلات بين هذه الأسواق الرئيسية والأسواق المقابلة لها في تونس منظمة تنظيما دقيقا بحيث أن التاجر يجد يوميا قافلة يسافر معها ذهابا وإيابا [3].

وكانت هناك العديد من الطرق الرئيسية المتبعة بين الشرق والغرب[4] أهمها :

أ–طريق تونس :

الذي يبدأ من قسنطينة ويسير نحو الجنوب ثم يرتفع نحو الشمال الشرقي أين تتواجد عدة قرى تمر عليها القافلة التجارية، ومدة السفر بهذا الطريق، تستغرق 25يوما، هذا الطريق كان ممتعا حيث التجار كانوا يجدون كل مرافق السير .

1 صورية حصام، المرجع السابق، ص 148.

2نفسه.

3 نفسه، ص 148-149.

4 انظر:الملاحق، ص.

ب- طريق قفصه ونفطه:

الذي يبدأ من مدينة الوادي ثم يتوجه شمالا نحو محطة قمار[1] يتطلب خمسة أيام وعلى العموم هو طريق سهل تكثر فيه المياه وقليلا ما تتعرض فيه القوافل إلى الكمائن التي ينصبها أحيانا سكان غدامس، ردا على ما يفعله سكان واد سوف، الذين سبقوهم في نهب قوافلهم .

إلى جانب هذه الطرق هناك طرق أخرى مثل نفطة وغدامس اللذان ينطلقان من ورقلة .

كما كان للعملة دورا بارزا في العلاقات التجارية بين الايالتين لأنها الركيزة الأساسية في كل تعامل مالي سواء على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي[2] .

أما النقود التي كانت تستعمل بايالة الجزائر في منتصف القرن 18 م، لم تكن محلية كلها، إذ كانت على نوعين عملة محلية وعملة مستوردة، كما أن العملة المحلية كانت تسك بدار النقود الواقعة قرب قصر الداي.

عمل بعض الحكام من نهاية القرن 18 م على تأمين صنع النقود حتى يوضع حد لتسرب العملة والتهاون في صنعها، وهنا كان يتم اختيار صناع متخصصين، الذين كانوا في الغالب من اليهود ووضعوا تحت المراقبة من طرف أمين السكة وحددت لهم مرتبات تتناسب مع كميات النقود التي يقومون بضربها[3] .

كان شكل العملة في ايالة الجزائر كباقي العملات الإسلامية آنذاك ، تحتوي على نقوش جميلة مزينة بحروف عربية من جهة، ومن جهة أخرى كان يكتب عليها "ضرب بالجزائر" مع الإشارة إلى سنة السك[4].

تميزت العملة بشكل مستدير يدل على امتثال الحكام للسلطة العثمانية رغم القوانين المالية التي خضعت لها نوعية النقود فقد كان يتم إخضاعها لقوانين تحدد عدد القطع المضروبة في

---

1 قمار: هي مدينة تقع على بعد حوالي14 كلم من مدينة الوادي – انظر: محمد العربي الزبيري : التجارة الخارجية ...، ص 155.

2 ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، 1800-1830، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 189.

4 نفسه.

القنطار، وكيفية استعمال بقايا المعدن، وإضافة بعض المعادن الثمينة كالفضة والدراهم الأجنبية التي تصبح بالية من كثرة الاستعمال، كان الهدف من هذه القوانين هو المحافظة على قيمة رواج العملة الجزائرية .

رغم القوانين المالية التي خضعت لها نوعية النقود في ايالة الجزائر إلا انه وفي بعض الأحيان تختلف نوعية النقود حسب الظروف الاقتصادية السائدة في تلك الفترة، واعتبرت الفضة أكثر المعادن الثمينة طلبا لا تعرف لها الجزائر إلا منجمين إحداهما في منطقة القبائل[1] .

وقد احتلت النقود التونسية المرتبة الثالثة من حيث الانتشار في الايالة، بعد النقود الاسبانية وهذا يعود إلى الموقع الجغرافي وعملية التبادل التجاري وعمليات استيلاء الجيش الجزائري على ما كان يتواجد بالخزينة التونسية، خاصة خلال حملة سنة 1756م، والضرائب السنوية التي كانت تفرض من حين لأخر على الحكام التونسيين، وكانت هذه الإتاوات ترفع قيمتها [2].

لقد كانت هناك عملات تونسية مستقلة بايالة الجزائر منها الدرهم الناصري، ثم النصري الحيدري وقد عرف بهذه التسمية نسبة إلى حيدر باشا[3] ثم الريال التونسي الفضي الذي أزال الدراهم الناصرية والحيدرية من سوق التبادل النقدي، وأصبح هو الرائج خاصة منذ بداية القرن 17م [4]، حيث بقي مقتبسا من الريال الاسباني ما يقارب قرنا من الزمن إلى أن تم سك ربع ريال سنة 1725م في عهد الداي حسين بن علي بنسبة 60 % من قيمتها الحقيقية.

كانت هناك المكاييل والموازين وتعتبر من أدوات التجارة إلى جانب العملة النقدية وقد أثرت على عملية البيع والشراء[5]، واهم المعايير التي اعتمد عليها آنذاك هي :

1-القفيز: في بداية القرن 17م كان يساوي 129كيلوغرام ثم تحول بعد سنوات، 159كيلوغرام وبعدها انتقل إلى 300كيلوغرام في نهاية القرن 17م، وبقي على هذا الحال خلال القرن 18م .

1 ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 189.

2 صورية حصام: المرجع السابق، ص 155.

3حيدر باشا: هو حاكم عثماني في القيروان سنة 1574م-انظر: نفسه.

4 نفسه.

5صورية حصام: المرجع السابق ، ص 157.

2-المطر: كان يزن 40 رطلا أي مايعادل 20كيلوغرام وفي مناطق أخرى يتراوح وزنه بين 18و 18.5 كيلوغرام وقد اعتمدت تونس اصغر معيار للمطر .

3-الرطل: هو المعيار الذي يقلب في أسواق الايالات الثلاث الجزائر تونس و طرابلس، كما اشتهرت به أيضا مصر في القرن 18م وله 3 أقسام:

أ-الرطل العطاري: ويقصد به المكيال المستعمل عند العطارين وهو يعادل 506غرام و88 سنتي غرام للوزن الفرنسي وكان يستعمل لوزن مختلف المعادن مثل الحديد والنحاس والذهب والفضة وغيرها من المعادن .

ب- الرطل السوقي[1]: يعادل 568 غرام استعمل في وزن اللحوم والزيوت والصابون والعسل ومختلف الفواكه الجافة .

ج- الرطل الخضري: معادل ل 639غرام و453 مليغرام للوزن الفرنسي استعمل في كيل الخضر والفواكه [2].

4-القنطار: يعد من المعايير المهمة في السوق وقد تم تصنيفه إلى ثلاثة أنواع :

الأول: يساوي 100 رطل لوزن السلع والبضائع الثقيلة ماعدا القطع الحديدية والقطن والصوف.

الثاني: يعادل 110 رطل خاص لكيل الحديد والقطن[3].

الثالث: وهو مخصص لوزن مختلف المواد الأخرى خاصة الثقيلة منها، وقد كانت هناك أسواق تجارية بين الايالتين عن طريق الموانئ البحرية منها مدينة عنابه هذه الأخيرة عرفت إنتاج وافر للحليب وكان يكفي سكانها وقد أصبح يغطي مدينة تونس وجزيرة جربه[4]، كما يذكر وليام سبنسر"...وكان لها وطن سهلي يحتل المقام الأول في الاتساع والجودة وهو ينتج بكمية كبيرة الذرة التي تتغذى منها الأبقار وبهذا الإنتاج البهيج أصبحت عنابه تنتج ما يكفيها ويكفي مدينتي تونس

1 الرطل السوقي: هو من المعايير المستعملة للحجم واسمه مشتق من السوق – انظر: صورية حصام: المرجع السابق، 157.

2 نفسه.

3 نفسه، ص 158.

4 نفسه، ص 157،158.

وجربه إضافة إلى أن تجار مدينة جيجل كانوا يترددون على مدينة تونس بغية تصدير الجلد والشمع والزيت [1].

لكن في مرحلة لاحقة من عهد حمودة باشا أراد الاستقلال وإلغاء التبعية للجزائر، وكان هذا في 1807م نتيجة أسباب وهي:

-تخبط الجزائر في ظروف سياسية صعبة كثورة ابن الاحرش[2] والدرقاوي [3] وقدوم باي قسنطينة السابق إلى تونس بحيث وعده حمودة باشا بتقديم كل العون لاستخدامه كورقة ضغط على بايلك الشرق في الجزائر [4].

ب-مع طرابلس الغرب :

كغيرها من الايالات العثمانية كان لتونس علاقات اقتصادية مع الايالات الأخرى ومن بينها طرابلس الغرب، تمثلت هذه العلاقات في المبادلات التجارية بين الايالتين وقد اشتهرت ايالة طرابلس بمجموعة من الصناعات كصناعة النسيج التي كانت متمركزة في مدينة طرابلس وضواحيها وكانت هذه المنسوجات تتمثل في قطع من الأردية ذات الألوان الزاهية والرسوم المركبة، وكثيرا ما تكون ذات ألوان غامقة لتلائم أردية النساء، كما اشتهرت طرابلس بصناعة الأردية الحريرية، سواء النساء أو الرجال، وقد عرفت هذه الأردية بجودتها وكان يتم تصديرها إلى برقة وغيرها، ومن الصناعات التي تشترك فيها طرابلس الغرب مع تونس هي صناعة الحصير حيث كانت طرابلس الغرب تقدم أجمل أنواع وتشكيلات الحصير التي كانت موضع إعجاب المختصين لقوة حبكها ومساحتها ورسومها المتنوعة، وكان السعف الذي ينمو في عدة أماكن ثابتة وهناك نوعان من الحصير الحصيرة التي تصنع من الحلفاء والحصيرة التي تصنع من السعف وهذه الأخيرة مرغوبة أكثر

1 وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب و تقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006 ص 140.

2 ابن الاحرش: يعد من أهم الشخصيات التي لعبت دورا هاما في إضعاف الحكم العثماني، من خلال تزعمه لثورة عنيفة على النظام العثماني في الشرق الجزائري سنة 1804م –انظر: احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 85.

3 الدرقاوي: هو أبو عبد الله العربي بن احمد البوبريجي الدرقاوي المعروف بابن الشريف ولد ببني زروال، نسبة إلى قبيلة درقة بالغرب الجزائري تعد ثورته من اخطر الثورات الشعبية التي ساهمت في إضعاف بايلك الغرب –انظر: رشيد مريخي، المرجع السابق، ص 25.

4 كوثر العايب: المرجع السابق، ص 50.

لدقة صنعها إضافة إلى هذا اشتهرت طرابلس الغرب بصناعة الحنة، وكان ورق هذه الشجرة مطلوبا في الشرق لصبغ الشعر وكانت تصدر اغلبها إلى تونس والجزائر والمغرب الأقصى، كما برعوا في صناعة العاج والصباغة، وكانت طرابلس الغرب تصدر الأبقار والخيل والصوف وشعر الماعز والإبل أو بعبارة أخرى معظم المنتوجات الرعوية إلى جانب هذا تصدر أيضا التمور والقمح والشعير والملح والحمضيات وكانت المبادلات التجارية مع تونس تتم عن طريق موانئ هذه الأخيرة مثل، صفاقس وسوسة وجربه وقابس، وكانت تونس تستورد من طرابلس الغرب الحنة والحصير والحمضيات والفضة والمنسوجات الطرابلسية، أما صادراتها فقد تمثلت في التين والزيت والصابون والتمور والشاشية والمنسوجات، أما العملة المستعملة في طرابلس الغرب هي نفسها المستعملة في الإمبراطورية العثمانية وهي الليرة التركية الذهبية، المجيدي وهو عملة فضية، المحبوب عملة فضية، القرش الطرابلسي وهو عملة فضية، القرش الصاغ وهو عملة فضية، القرش الجاري وهو عملة فضية [1].

إضافة إلى هذا كانت تونس تقدم مساعدات لطرابلس الغرب وتتمثل هذه المساعدات في الخيول والحبوب [2].

2-العلاقات التجارية بين تونس ودول أخرى:

أ-مع مصر:

تميزت العلاقات بين الدولتين بزيادة النشاط في حجم المبادلات خاصة منذ بداية القرن 19م واهم ما كانت تستورده تونس من مصر في عهد حمودة باشا، القماش والأدوية [3] ومصنوعات أخرى يحتاجها التونسيون كما أن الحرب التي كانت بين حمودة باشا والبندقية الا لحماية تجارته في مصر والبحر الأبيض المتوسط [4].

1 فرانسيسكو كورو: ليبيا أثناء العهد العثماني، ط1، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس الغرب، 1971م، ص 64-72.

2 عمار جحيدر: أفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1991، ص 213.

3 محمد مقديش: المصدر السابق، مج2، ص 92.

4 محمد مقديش: المصدر السابق، ص92.

وأثناء حملة نابليون على مصر 1798م قام التجار التونسيون بجمع ثرواتهم في مصر وقد بلغ عدد التجار التونسيين في مصر حوالي 600 تاجر بين البلدين تتم المبادلات عن طريق ميناء الإسكندرية، وفي سنة 1812م كان لحمودة باشا وكيل في الإسكندرية يخبره بأحوال تجارة تونس وسفنها بتلك البلاد وهي سفن تذهب محملة بالمنتجات والبضائع التونسية وتعود محملة بالبضائع المصرية، وقد بلغ عدد السفن العاملة في التجارة بين تونس ومصر والمشرق الإسلامي حوالي 200سفينة في السنة الواحدة، ومن هنا نرى بان مصر هي من أهم دول المشرق الإسلامي التي كانت تتعامل معها تونس اقتصاديا[1].

ب–مع المغرب الأقصى:

جمعت تونس والمغرب الأقصى علاقات وطيدة خاصة في المجال الاقتصادي فقد كانت هناك قوافل تجارية مغربية، من بين هذه القوافل تلك التي كانت تأتي من فاس وكانت تعرف بقافلة المغاربة، تأتي محملة بالبرانس والنقود الذهبية والنحاس، وتأخذ من تونس عدة مصنوعات أهمها الشواشي والحرير وفي عهد حمودة باشا كانت المغرب تستورد منها سفاسر الحرير[2].

ج–العلاقات مع إفريقيا السوداء:

اهتم حمودة باشا بتنمية التجارة التونسية مع بعض الدول الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى وهذه التجارة كانت موجودة قبل عهد حمودة باشا وتتم عن طريق القوافل البرية ونشطت في عهد حمودة باشا، وأصبحت تونس مركز مالي هام بالنسبة لإفريقيا، ومن الأسباب التي دفعت بالباي إلى تعزيز التجارة مع دول إفريقيا هي الحاجة إلى الذهب، وهذا بعد أن استولى الجزائريون في سنة 1756م على جميع ثروات تونس وقد نتج عن هذا تعطل سك العملات الذهبية من 1756م إلى 1855م [3]إضافة إلى هذا كانت تقوم تونس بتجارة العبيد مع هذه الدول الإفريقية وكانت تونس تصدر السلع التي تأتيها من إفريقية، حيث كانت تصدر العبيد إلى المشرق الإسلامي وريش

1 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 300.

2 سفاسر الحرير: ج سفاسري وهو نوع من الأثواب الحريرية أو الصوفية أو القطنية كانت نساء تونس يلتحفن به عند خروجهن إلى الطريق –انظر: رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 301.

3نفسه، ص30.

النعام إلى ليفورنو، وكانت تصدر لإفريقيا الكتان والحرير الخام والجلود ومواد البقالة وصبائغ الحرير [1].

3-العلاقات التجارية بين تونس والدول الأوروبية :

عقدت تونس خلال عهد حمودة باشا علاقات مع عدة دول من بينها الدول الأوروبية، وكان الهدف من هذه العلاقات، فتح الباب أمام التجارة الخارجية وإيجاد أسواق للمنتجات التونسية، ومن جهة أخرى رغبة الدول الأوروبية في الحصول على امتيازات في الأراضي التونسية، ومن هذه الدول نجد:

أ-فرنسا:

سعت فرنسا جاهدة لربط علاقات تجارية مع تونس، وكان لها ذلك فأصبحت في عهد لويس 14 تحضى بمكانة هامة في الأوساط التجارية التونسية، مدعمة من طرف الساسة الفرنسيين من قناصل وسفراء في تونس، وأصبحت فرنسا تلعب دور الوساطة في نقل البضائع من والى تونس [2].

كما حضيت فرنسا بالعديد من الامتيازات والتنازلات ومن بين تلك الامتيازات:

- تجارة القمح:

كانت فرنسا تقوم بتصدير القمح من تونس نحو مرسيليا عن طريق المراكز التجارية للشركة الملكية الإفريقية التي تعتبر من آخر الشركات الفرنسية في تونس والجزائر التي عوضت فيما بعد بالوكالة الإفريقية التي دامت بضع سنوات، هذه الشركة تحصلت على عدة امتيازات منها: حرية صيد المرجان وفق اتفاقيات 1781-1782م.

إضافة إلى كل هذا كان التجار الفرنسيون يتمتعون بحرية التنقل بين المدن التونسية لشراء بعض المنتجات الفلاحية مثل زيت الزيتون [3].

1 رشاد الإمام: المرجع السابق، ص 300.

2 ياسين صنديد: المرجع السابق، ص 41.

3 نفسه، ص 222.

ومن أهم الاتفاقيات في المجال التجاري تجديد عقد اتفاقية صيد المرجان، التي كانت بين الشركة الملكية الإفريقية وعلي باشا وتم تجديد الشركة لامتياز صيد المرجان على طول السواحل التونسية من جزيرة طبرقة غربا إلى طرابلس الغرب شرقا، مقابل 13 ألف بياستر .

بقيام الثورة الفرنسية استغل حمودة باشا الوضع وقام بقطع كل الاتفاقيات والمعاهدات مع فرنسا مما اثر سلبا على سير العلاقات بين البلدين، لكن سرعان ما أجبرت فرنسا تونس على الاعتراف بالحكومة الجديدة وإلزامها بالاحترام [1] .

رغم كل هذا بقي التجار الفرنسيون يتمتعون بحريتهم التجارية داخل الايالة، وقال حمودة باشا بان "الخلطة بين أهل تونس والفرنسيين في المتاجر كثيرة جدا لا يمكن فصلها إلا بعد زمن طويل "[2] .

في 1802م تمكنت فرنسا من استرجاع مكانتها في تونس وتم عقد معاهدة صلح بين الطرفين من بين ما جاء فيها:

-تحديد الرسوم الجمركية على السلع الفرنسية التي تدخل ميناء تونس ب 3 % ولا يحق لأمناء الجمارك أن يطالبوا بالرسوم الجمركية عينا بل يكتفون بتحصيله بالعملة المتعامل بها في تونس وتعامل فرنسا التجار التونسيين نفس المعاملة .

-التجار اليهود المقيمين في تونس وهم تحت الخدمة الفرنسية تحميهم الجمهورية الفرنسية.

بعد هذه المعاهدة امتنعت فرنسا عن تقديم الهدايا لتونس وطلبت منها الاعتراف بالدويلات الايطالية التي أصبحت تابعة لفرنسا نتيجة توسعات نابليون لكن الباي رفض بحجة وجوب ربط علاقات مع هذه الدول قبل الاعتراف بها [3].

1 كمال مايدي: المرجع السابق، ص 111.

2 احمد بن أبي الضياف: المصدر السابق، ج3، ص 45.

3 كمال مايدي: المرجع السابق، ص 116.

ب–مع اسبانيا:

مع نهاية القرن 18م بدأت اسبانيا تحاول إنهاء الصراع القائم بينها وبين الدول المغاربية عموما وتونس على وجه الخصوص، حيث قامت اسبانيا بعقد عدة معاهدات مع تونس، كانت تهدف من خلالها إلى إنهاء القرصنة التي عطلت مصالحها التجارية [1].

حيث طلبت من الجزائر التوسط لإبرام الصلح مع تونس وذلك في رسالة من الكونت فلوريدا بلانكار Florida Blanca إلى حسن وكيل الحرج[2] سنة 1786م يخبر أن الملك كارلوس الثالث يطلب منه بذل ما في وسعه لإبرام الصلح .

في هذه الغضون استغل الباي الوضع لفرض شروطه على اسبانيا حيث طلب أن تكون المعاهدة على نفس الشاكلة مع الجزائر، وضبط الرسوم الجمركية لتجارة اسبانيا بالموانئ، هذا ما عطل المفاوضات.

في 1787م استأنفت المفاوضات بين البلدين لتحقيق الهدنة في اللقاء الأول لكنه لم يكن سلام نهائي، كما رفض الملك الاسباني دفع 400الف بياستر، وهذا بضغط من الجزائر التي رفضت أن تحضى بنفس المكانة مع تونس، وخفضت القيمة إلى 100الف بياستر، مقابل أن تحضى اسبانيا بنفس الامتيازات مع فرنسا في تونس وإدراج بند سري خاص بالحقوق الجمركية المفروضة على السلع الاسبانية في تونس[3] .

في سنة 1791م تم إبرام معاهدة سلام بين البلدين جاء في مضمونها التجاري منح اسبانيا نفس الحقوق والامتيازات الممنوحة للرعايا الفرنسيين في المقابل تم تخصيص 3موانىء للتجار التونسيين هي ميناء مالقة، اليكانت، برشلونة [4]، مع دفع 10% كرسوم جمركية مقابل عقد سري تحضى فيه تونس بتخفيض الرسوم على السلع التونسية ب3 %، كما نصت على الاعتراف

1كمال مايدي: المرجع السابق، ص 16.

2 حسن وكيل الحرج: هو احد وزراء الدولة الجزائرية في العهد العثماني مكلف بكل أمور البحرية –انظر: احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 83.

3 كمال مايدي: المرجع السابق، ص 120.

4نفسه.

بجوازات السفر الخاصة بالبحرية الاسبانية التي يوزعها القنصل الاسباني بتونس على التجار التونسيين [1].

أصبحت تونس تصدر وتستورد من اسبانيا دون وساطة فرنسية ومن بين الصادرات القمح، وبعض الصناعات المحلية وتستورد الصوف والأصباغ والذخائر الحربية [2].

ج-ايطاليا:

كانت علاقة تونس مع الدويلات الايطاليا في فترة حمودة باشا تتسم بالعداء مع جمهورية البندقية ومملكتي نابل وصقلية، فيما اتسمت بالسلم والتجارة مع مملكة جنوه ومقاطعتي توسكانيا، وليفورنو.

ج-1-علاقة تونس مع البندقية:

كانت متوترة بسبب نشاط القراصنة التونسيين ففي سنة 1783م غرقت سفينة تجار يهود اتهم فيها التجار التونسيين قبطان السفينة لأنه المسئول عن ضياعها واشتكوه إلى الوزير الأول مصطفى خوجة، حيث شرع هذا الأخير في البحث عن السفينة، لكن احد القادة الايطاليين عطل عملية البحث بحجة أن السفينة بندقية، وهم أولى بإنقاذها، وبدا البحث لكنه فشل في إنقاذها مما أثار غضب مصطفى خوجة واهتم القائد الايطالي بضياع السلع وعليه دفع 30 ألف ريال بندقي إلى التجار اليهود[3].

ج-2-مع نابولي:

كانت متوترة بسبب النشاط البحري للقراصنة التونسيين لكن في 1814م عقد اتفاق هدنة من أهم بنوده .

-حرية تنقل السفن التجارية النابوليتانية، التونسية في موانئ كلا الطرفين .

-يجب منح نابولي نفس الامتيازات الممنوحة للدول الأوروبية .

-السماح للسفن النابوليتانية بصيد المرجان في المياه التونسية .

1كمال مايدي: المرجع السابق، ص 120.

2 نفسه: ص 95.

3نفسه، ص 101.

كما تعهدت نابولي بتزويد الباي ببعض المعدات العسكرية وشحنات من الخشب لبناء المراكب[1].

ج-3-مع صقلية:

كانت العلاقات مع مملكة صقلية كغيرها من الدويلات الايطالية، حيث تميزت بالتوتر والحرب نتيجة نشاط القراصنة في كلا الطرفين .

شهدت هذه العلاقات عقد هدنة بين الطرفين في جانفي 1812م مرهونة بالوجود الانجليزي في صقلية، وذلك لان انجلترا هي من قام بطلب عقد هذه الهدنة لتحقيق مجموعة من المكاسب من بينها:

-الحصول على اتفاق يقضي بحياد تونس عن الصراع القائم في أوروبا وهذا ما سيقلص حركة السفن الفرنسية .

-قبول الباي بتمويل القوات الانجليزية بالقمح .

كما أن هذه الهدنة مهدت لعقد معاهدة بين تونس وصقلية في سنة 1812م[2].

من خلال هذا نستنتج بان:

اقتصاد تونس تطور في عهد حمودة باشا وكان لهذا التطور اثر على العلاقات التجارية لتونس، فمن خلال دراستنا للتجارة الخارجية نرى بان العلاقات التجارية لتونس قد شملت عدة دول واغلبها كان مع دول الجوار وعلى رأسها الجزائر أو مع الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا وتجسدت هذه العلاقات في توقيع عدة اتفاقيات ومعاهدات استعملتها الدول الأوروبية كوسيلة ضغط بعد هذه الفترة لاحتلال تونس ومن بين هذه الدول فرنسا .

1كمال مايدي: المرجع السابق، ص 106.

2 نفسه: ص 107.

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره نستنتج ما يلي:

شهدت تونس خلال القرن 16م عدة أحداث،كانت وراء ضعفها أمام التحرشات الأوروبية خاصة الإسبانية التي استولت على العديد من السواحل والموانئ التونسية، لهذا تدخلت الدولة العثمانية وقامت بتحريرها في 1574م، هنا دخلت تونس مرحلة جديدة تحت الحكم العثماني وعرف نظام حكمها عدة مراحل بداية بالباشاوات والدايات و البايات، انتهت هذه المراحل بمجيء الحسينيين إلى الحكم، وعرفت تونس خلال فترة حكمهم عدة أحداث سياسية و اقتصادية و غيرها.

تعد فترة حكم حمودة باشا أهم مرحلة من مراحل الحكم الحسيني وبرز هذا من خلال الأوضاع العامة التي عرفتها فترة حكمه، وهذه الدراسة أبرزت الأوضاع السياسية و الإصلاحات الإدارية و العسكرية التي قام بها هذا الباي الحسيني، وهذا يعود إلى المؤهلات التي اكتسبها منذ ولايته للعهد.

تميزت العلاقات السياسية في فترة حمودة باشا بالتوتر و السلم مع بعض الدول على غرار طرابلس الغرب، كما كانت لها علاقات عداوة تجسدت في الحروب و المواجهات مع بعض الدول الأوروبية و الجزائر وغيرها، إضافة إلى هذا اهتم حمودة باشا بالجانب العسكري ،والدليل على ذلك هو تطور الجيش ومضاعفة عدده من اجل امتلاك جيش قوي يستطيع مواجهة العدو.

عرفت فترة حمودة باشا تطورا كبيرا في الجانب الاقتصادي،نظرا للتنوع المحاصيل الزراعية في الإيالة التونسية،و يرجع تنوع محاصيلها إلى مجموعة من الأسباب أهمها :المناخ المعتدل و تنوع التضاريس من جبال و سهول و هضاب...و غيرها،كما حمودة باشا بسن عدة قوانين لتحسين المنتوج الفلاحي.

اهتم حمودة باشا بالجانب الصناعي،حيث تنوعت الصناعات في عهده والسبب في ذلك يعود إلى توفر المواد الأولية من أخشاب وغيرها التي كان لها دور في صناعة السفن خاصة منها الحربية.

عمل حمودة باشا على تنشيط التجارة الداخلية و الخارجية، وذلك عن طريق الأسواق التي قام بتشييدها حمودة باشا، إضافة إلى هذا تنوعت العملة وتباينت قيمتها حسب المعدن الداخل في صنعها.

ألقت هذه الدراسة ضوءا على الإصلاحات التي قام بها حمودة باشا لتطوير هذا المجال، هذه الإصلاحات استفادت منها طائفة اليهود، التي كان لها اثر كبير على التجارة في الإيالة التونسية.

جمعت تونس علاقات تجارية مع مختلف الدول خاصة الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث كانت لها علاقات تجارية مع الجزائر و طرابلس الغرب تجسدت هذه العلاقات في الطرق التجارية التي كانت تربط الإيالة معهم والأسواق التي كانت تتم فيها المبادلات التجارية، إلى جانب الجزائر و طرابلس الغرب كانت هناك علاقات تجارية مع دول أخرى مثل:مصر و المغرب الأقصى و إفريقيا السوداء.

ربطت إيالة تونس علاقات تجارية مع الدول الأوروبية ابزرها فرنسا وايطاليا وإسبانيا،كانت هذه التجارة تتم عن طريق معاهدات وامتيازات منحتها تونس للدول الأوروبية ،كما هذه التجارة كانت عبر الموانئ البحرية.

كان للنشاط الاقتصادي اثر على الحياة الاجتماعية، فمن خلال تحسن الأوضاع الاقتصادية توفر الأمن والاستقرار،كما عمل حمودة باشا على محاربة الأوبئة و الإمراض، هذا يدل على اهتمامه بالجانب الصحي، كما قام ببناء المستشفيات والعيادات وجلب أطباء أجانب نظرا لخبرتهم.

كان لحمودة باشا دور فعال في تشجيع الجانب الفكري، والدليل على ذلك بروز العديد من العلماء والمفكرين في فترة حكمه،ولم يتوقف عند هذا الحد بل عمل جاهدا على محاربة البدع والأفعال التي تضر بالجانب الديني و تمس به.

الملاحق

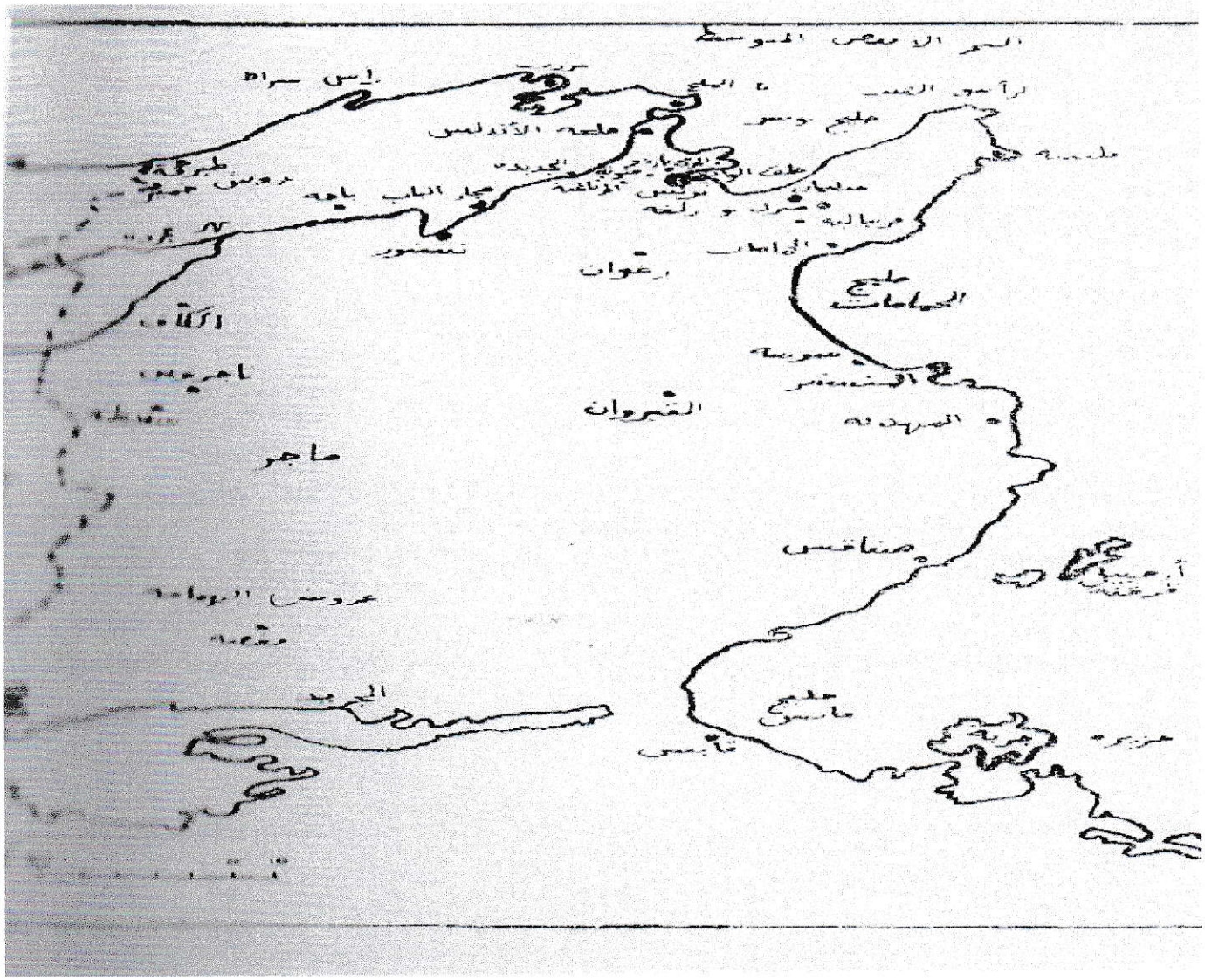
الملحق رقم01: صورة حمودة باشا الحسيني.



1

انظر: احمد ابن أبي الضياف،إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، تحقيق لجنة من وزارة الثقافة،الدار العربية للكتاب، تونس، 1999،ص12.

الملحق رقم 02:خريطة البلاد التونسية.



1

1 انظر :رشاد الإمام:سياسة حمودة باشا، ص434.

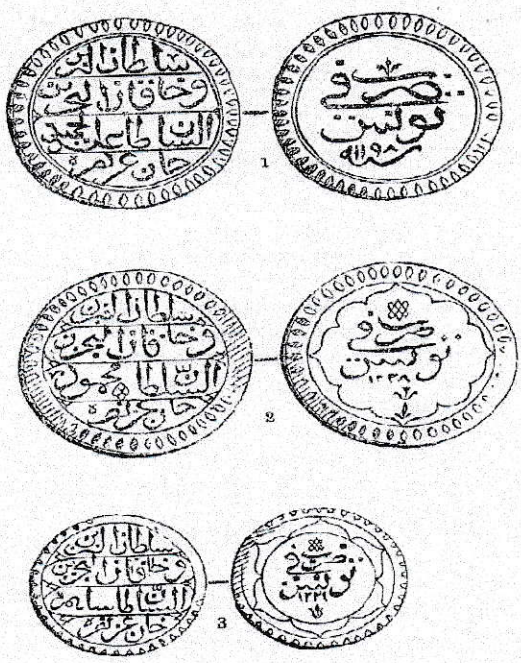
الملحق رقم03 : جدول يبين العملة الأكثر تداولا في إيالة تونس.

NOMS ARABES		NOMS FRANKS	VALEUR [1]
ريال	rial	piastre	16 caroubes.
خرّوبة	kharrouba	caroube	3 nasri 1/4 (39 flous reqaq) ou 1/16me du rial.
ناصري	nasri	aspre, blanquille, (aqtcheh en turc)	2 flous ou 1/32me du rial.
فلس	fels (plur: flous)	bourbe	1/2 nasri ou 6 flous reqaq ou 1/104me du rial.
قبصي ou فلس رقيق	qafci (ou hidra) ou fels reqiq	bourbine	1/12me du nasri ou 1/624me du rial.

1

1 Hugon Henri : Les emblèmes des beys de Tunis, Ernest Leroux, paris, 1913, p21

الملحق رقم04:العملة الحسينية في فترة حمودة باشا.

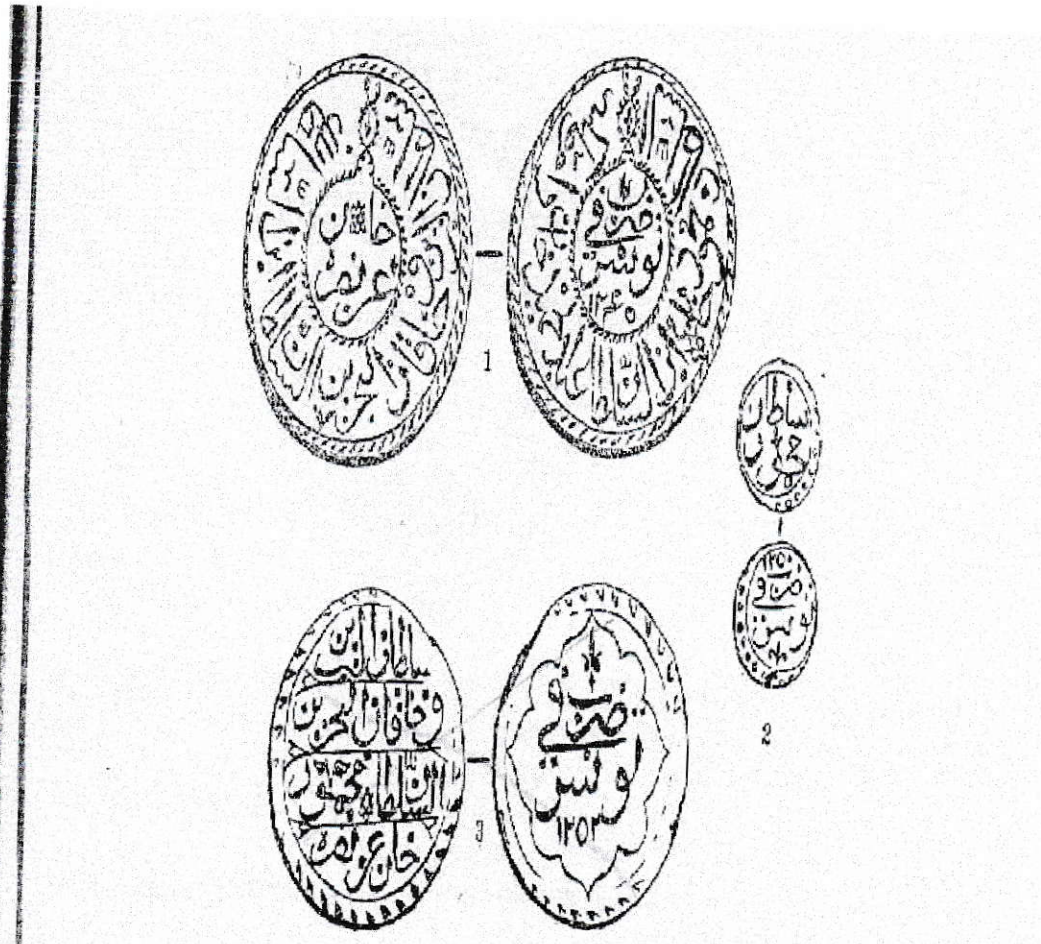


N° 1. Hamouda Pacha, 5e bey : piastre argent. Sultan Abdulhamid, 1198. — 16 grammes.
N° 2. Hamouda Pacha, 5e bey : piastre argent. Sultan Mahmoud, 1228. — 13 gr. 1/2.
N° 3. Hamouda Pacha, 5e bey : 1/2 piastre argent. Sultan Sélim, 1221. — 7 gr. 60.

1

[1] Hugon Henri :op,cit,p21

الملحق رقم05: العملة التونسية في عهد حمودة باشا الحسيني.



N° 1. Hussein, 8e bey : double piastre (rialine) argent « bou cherchour ». Sultan Mahmoud, 1245. — 25 gr. 1/2.

N° 2. Hussein, 8e bey : caroube argent. Sultan Mahmoud, 1250. — 1 gramme.

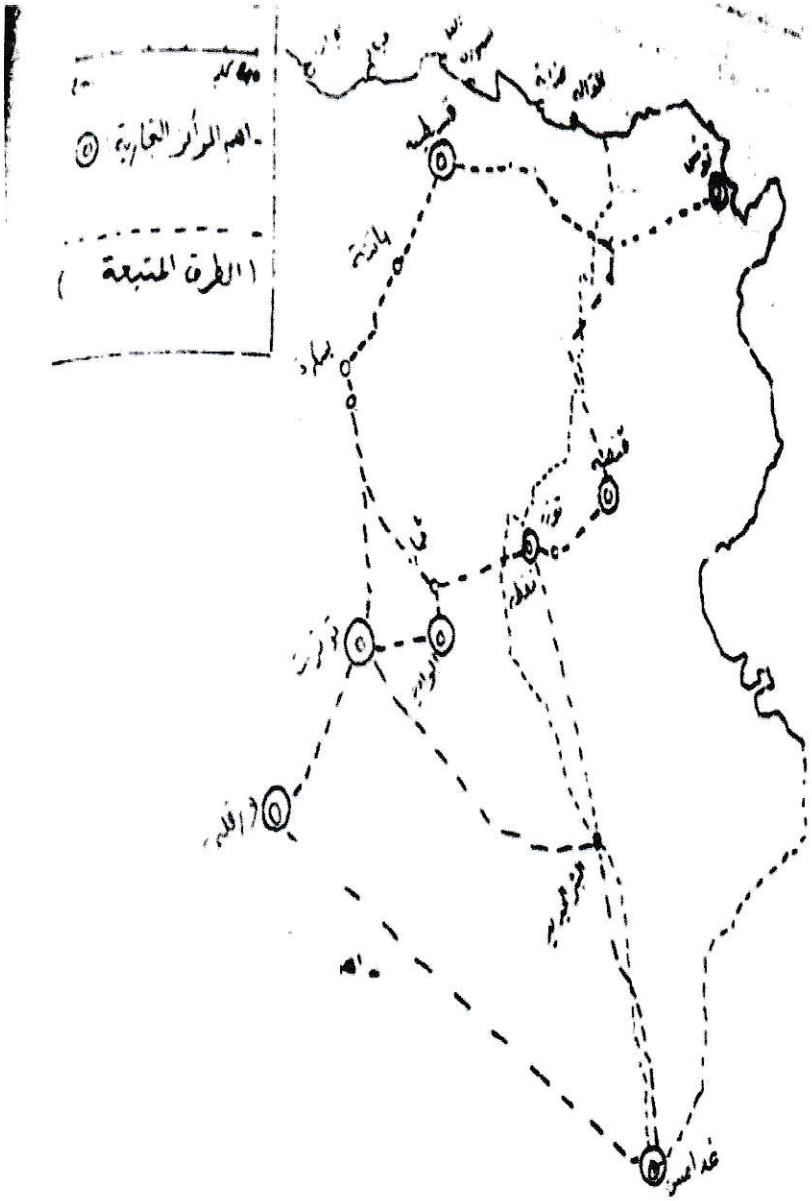
N° 3. Mustapha, 9e bey : piastre (rial) « bou cherchour ». Sultan Mahmoud, 1252. — 12 grammes, argent.

Du même type existent : 1/2 rial, diamètre 27 millimètres, et 1/4 rial, diamètre 21 millimètres.

1

[1] Hugon Henri, opp, cit, p23

الملحق رقم06: خريطة توضح الطرق التجارية بين الشرق الجزائرية و ايالة تونس



1

1 انظر :محمد العربي الزبيري:التجارة الخارجية ....، ص 160

الملحق رقم 07: جدول يبين أهم الصادرات والواردات التي كانت بين الشرق الجزائري و ايالة تونس.

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	المواد المستوردة
قسنطينة	تونس	الصوف ، الجلود المدبوغة ، التمور الممتازة ، الشواشي العادية ، ريش النعام	المصنوعات الأوربية ، العطور ، التوابل ، القهوة ، الأقمشة ، القطنية والحريرية .
الوادي	نفطة نفطة	التبغ ، الفوة والتمور	مواد البزازة ، المواد العطرية ، الأقمشة الحريرية ، الأسلحة ، الكبريت .
توقرت	نفطة غدامس	الأقمشة الصوفية العادية ، التمور والمظلات	الأقمشة القطنية ، العطريات والمصنوعات الأوربية .
		المواد العطرية ، التمور الحبوب ، الزيوت ، الأقمشة .	التبر ، العبيد ، جثث النعام ، البخور السوداني .
ورقلة	غدامس	الأقمشة الحريرية والقطنية ، التمور ، الحبوب ، الزيوت ،	التبر ، العبيد ، العاج البخور السوداني ، وكثير من المنتوجات

1 انظر:العربي الزبيري: التجارة الخارجية في الشرق الجزائري.....، ص159.

1. المصادر:

أ. باللغة العربية:

. ابن أبي الضياف احمد :**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**،ج3،ج7،تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية،الدار العربية للكتاب،تونس،1999م.

. ابن الضياف احمد :**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**،ج2،الدار التونسية للنشر،تونس،1963م.

. أبو عبد الله القيرواني:**المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1982م.

. الحشائشي محمد بن عثمان ،**العادات والتقاليد التونسية**،ط1،تحقيق الجيلالي بن يحي،دار سراس للنشر،تونس،1994م.

. السنوسي أبي محمد بن عثمان:**مسامرات الظريف بحسن التعريف**،ج3،ط1،تحقيق محمد الشاذلي النيفر،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان،1994م.

. شارل أندري جوليان :**تاريخ إفريقيا الشمالية**،ج1،تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة،مؤسسة توالت الثقافية،ددن،دب ن،د س ن .

. الشريف احمد الزهار :**مذكرات احمد الشريف الزهار**،تقديم و تحقيق احمد توفيق المدني،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1974م.

. محمد بيرم:**صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**،ج1،دار صادر ،بيروت،لبنان،د س ن.

مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم:**شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية**،ط1،أخرجه عبد الجليل خيالي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2002م.

. المسعودي الباجي:**الخلاصة النقية في أمراء افريقية**،ط1،تحقيق محمد زينهم محمد عزب،دار الآفاق العربية،القاهرة ،مصر،2013 م.

. مقديش محمود:**نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**،ط1،مج2،تحقيق علي الزاوي ،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1988م.

. النيفر محمد والشيخ علي :**عنوان الأريب عما نشا بتونس من عالم أديب**،ط1، ج1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1996م.

ب . باللغة الأجنبية:

-Frank louis : **Histoire de Tunis**, précédée d'une description de cette régence, Didot Frères, Imprimer RSDE l'institu de France, paris, 1851.

Henri HUGON : **Les emblèmes des Beys de tunis**, Ernest Leroux, paris, 1913.

2. المراجع:

. الأرقش دلندة:**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**،مركز النشر الجامعي ميدياكوم،تونس،2003م.

. ألتر عبد العزيز سامح:**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ط1، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989م.

. الإمام رشاد:**سياسة حمودة باشا1782م . 1814م**،منشورات الجامعة التونسية،تونس،1980م.

. ابن رجب رضا:**يهود المال و يهود البلاط في تونس العثمانية**، ط1، تقديم عبد الحميد الأرقش، دار المدار الإسلامي، لبنان، بيروت، 2010م.

. الثعالبي عبدالعزيز: **تونس الشهيدة**، ط1، ترجمة وتقديم سامي الجندي، دار القدس، بيروت، لبنان،1975 م.

. جحيدر عمار:**آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث**،الدار العربية للكتاب،ليبيا،1991م.

. الجمل شوقي عطا الله:**المغرب العربي في العصر الحديث**،ط1،المكتبة الانجلومصرية، القاهرة،مصر،1977م.

. الزبيري محمد العربي:**التجارة الخارجية للشرق الجزائري**،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1972م.

. الزبيري محمد العربي:**مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**،المؤسسة الجزائرية للطباعة،الجزائر،1985م.

. سبنسر ويليام:**الجزائر في عهد رياس البحر**،تعريب وتقديم عبد القادر زبادية،دار القصبة للنشر،الجزائر،2006م.

. سعيدوني نصر الدين:**النظام المالي في الفترة العثمانية 1800. 1830م**،ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985م.

. عبد الوهاب حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس**، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1373هـ.

. كورو فرانشيسكو:**ليبيا أثناء العهد العثماني**،ط1،تعريب وتقديم محمد التليسي،المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،ليبيا،1971م.

. محفوظ محمد:**تراجم المؤلفين التونسيين**،ط1،ج1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان،1982م.

. الهادي محمد الشريف:**تاريخ تونس**،ط3،دار سراس للنشر والتوزيع،تونس،1993م.

. الهيلة محمد الحبيب:**المفتي أبو القاسم عضوم في عصره**،المجمع التونسي للعلوم وال،تونس،2010م.

3. المعاجم:

. مجمع اللغة العربية:**المعجم الوسيط**، ط3، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2008م.

. المانع عبد الرحمان بن عبد العزيز:**معجم الكلمات الشعبية في نجد**، ط1، دون دار النشر وبلد النشر وسنة النشر.

4. الرسائل الجامعية:

. زيرمي نعيمة: **التجارة الخارجية الجزائرية من اقتصاد المخطط إلى اقتصاد السوق**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،إشراف بن بوزيان محمد،جامعة تلمسان،السنة الجامعية 2010 . 2011م.

. جبار صليحة:**الجزائر في عهد الداي علي باشا 1754 . 1766م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،إشراف عائشة غطاس،جامعة الجزائر،السنة الجامعية 2010 . 2011م.

. حصام صورية :**العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،إشراف عبد المجيد بن نعيمة،جامعة وهران،السنة الجامعية 2012 . 2013م.

. شويتام ارزقي:**المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني1519. 1830م**،أطروحة دكتوراه،إشراف عمار بن خروف،جامعة الجزائر،السنة الجامعية 2005 - 2006م.

. الشيخ مليكة:**العلاقات السياسية و الاقتصادية بين تونس و فرنسا خلال القرن18م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،إشراف عمار بن خروف،جامعة غرداية،السنة الجامعية:2011م - 2012م.

. صنديد ياسين:**الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس و فرنسا1705. 1782م** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،إشراف إبراهيم سعيود،السنة الجامعية 2012 - 2013م جامعة غرداية.

. العايب كوثر :**العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711. 1830م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،إشراف محمد السعيد عقيب،جامعة الوادي،السنة الجامعية 2013 - 2014م.

. مايدي كمال:**علاقات تونس مع الدول أوروبا الغربية و تأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،إشراف عمار بن خروف،المركز الجامعي بغرداية،السنة الجامعية:2011 - 2012م.

. مريخي رشيد:**الجزائر في عهد الداي مصطفى 1212هـ - 1220هـ/1798م - 1805م**،رسالة لنيل شهادة الماجستير،إشراف عمار بن خروف،السنة الجامعية 2010 .2011م.

. يوسف أمير:**أوقاف الدايات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية 1671 . 1830م** ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير،إشراف فلة موساوي،جامعة الجزائر 2،السنة الجامعية 2009 . 2010م.

5. المجلات:

. رزيقة حمدي:الإصلاحات الاقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا1782م - 1814م،**مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية**، العدد 30جامعة بابل،2016م.

. فهيمة عموري:إسهام الجيش الانكشاري في أوقاف الحرمين الشريفين خلال القرن12هـ/18م،**مجلة العلوم الإنسانية**، العدد 41جامعة قسنطينة،2014م.

المطلب الأول:العلاقات التجارية بين تونس و دول الجوار.....ص56.
أ. مع الجزائر.....ص56.
ب . مع طرابلس الغرب.....ص64.
المطلب الثاني: العلاقات التجارية بين تونس ودول أخرى.....ص65.
أ مع مصر.....ص65.
ب مع المغرب الأقصى.....ص66.
ج مع إفريقيا السوداء.....ص66.
المطلب الثالث:العلاقات التجارية بين تونس والدول الأوروبية.....ص67.
أ مع فرنسا.....ص67.
ب مع اسبانيا.....ص69,
ج مع الإمارات الايطالية.....ص70.
ج . 1. مع البندقية.....ص70.
ج . 2 . مع نابولي.....ص70.
ج . 3 . مع صقلية.....ص71.
الخاتمة.....ص73.
الملاحق.....ص76.
البيبليوغرافيا.....ص83.
فهرس الموضوعات.....ص88.

أ التجارة الداخلية.....ص46.
دور اليهود في التجارة الداخلية.....ص47.
1 . دفع اليهود إلى التخصص.....ص48.
2 حماية التجار اليهود.....ص49.
ب التجارة الخارجية.....ص49.
ب 1. الصادرات.....ص50.
. القمح.....ص50.
. الزيوت.....ص50.
. الشمع.....ص50.
ب 2. الصادرات.....ص50.
. الأقمشة.....ص50.
دور اليهود في التجارة الخارجية.....ص51.
ج العملة.....ص52.
1. العملة الذهبية.....ص52.
2. العملة الفضية.....ص53.
. الريال.....ص53.
. الناصري.....ص53.
3 العملة النحاسية.....ص53.
4 العملة الأجنبية.....ص53.
أ الريال الاسباني.....ص53.
ب السوكان البندقي.....ص53.
المبحث الثالث:العلاقات التجارية لتونس خلال عهد حمودة باشا.....ص56.

د . الأراضي الحرجية.....ص35.
المطلب الأول:النشاط الزراعي.....ص35.
. أهم المزروعات.....ص35.
. أهم إصلاحات حمودة باشا في المجال الزراعي.....ص38.
أ . تشجيع الناس على الكد والجد..... ص38.
ب . تحسين المنتوج.....ص38.
ج . تأمين أسعار رابحة للمزارعين تشجيعا لهم..... ص39.
د. إصدار قوانين جديدة لوضع حد للفوضى التي كانت سائدة في مجال الضرائب والعائدات المرسومة على الزراعة.....ص39.
. تربية المواشي.....ص40.
المطلب الثاني:النشاط الزراعي.....ص40.
1 صناعة الحرير.....ص42.
2 صناعة النسيج.....ص42.
3 صناعة العطور.....ص42.
4 صناعة زيت الزيتون.....ص43.
5 صناعة الشاشية.....ص43.
6 صناعة الحلي.....ص44.
7 الصناعة الحربية.....ص44.
أ صناعة البارود.....ص44.
ب صناعة المدافع و القذائف.....ص45.
ج صناعة السفن الحربية.....ص45.
المطلب الثالث: النشاط التجاري.....ص46.

. مقدمة.
. المدخل.....ص07.
. المبحث الأول:الأوضاع العامة في فترة حمودة باشا.....ض21.
. المطلب الأول:حمودة باشا ومجيئه إلى الحكم:.....ص21.
أ . مولده ونشأته.....ًص21.
ب . أهم صفاته.....ص22.
. المطلب الثاني:الأوضاع السياسية في عهد حمودة باشا.....ص22.
1 . إصلاحاته الإدارية.....ص23.
2 . العلاقات السياسية في عهد حمودة باشا.....ص26.
أ . مع الدولة العثمانية.....ص26
ب . مع دول العربية والمتوسطية.....ص26.
ب . 1. مع الجزائر.....ص26.
ب . 2 . مع طرابلس الغرب.....ص27.
ج . مع أوروبا.....ص28.
المطلب الثالث:الأوضاع العسكرية في عهد حمودة باشا.....ص28.
المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية في تونس في عهد حمودة باشا.....ص32.
. التضاريس.....ص32.
. المناخ.....ص33.
. تقسيم الأراضي.....ص33.
أ. أراضي الموات.....ص33.
ب . أراضي القبائل.....ص34.
ج . أراضي الحبوس.....ص34.